السموأل

او

وفاء العرب

رواية تمثيلية ذات اربعة فصول

تأليف

انطون الجميّل

طبعت في مطبعة « الاهرام » بمصر
سنة ١٩٠٩

توطئة

فنُّ الروايات التمثيليـة فنٌّ حديث عندنا ولا أثر له عنـد العرب . وما كاد يدخل الى بلادنا حتى اظهر الجمهور ميلاً اليه وشغفاً به فأقبل عليه أيما اقبال . مما دلَّ على ارتياح النفوس الى مشاهدة الوقائع وسماع الحقائق في هذا الاسلوب الرائق .
وليست غايتنا في هذه الاسطر ذكر نشأة هذا الفن عند قدماء اليونان وتقدمه عند الفرنجة حتى اصبحوا يعوّلون عليه في ايراد الحوادث التاريخية ونشر بعض المذاهب والافكار وتهذيب الاخلاق بتمجيد الفضائل وشجب الرذائل . فان ذلك يطول بنا . فضلاً عن انه صار في حيز المعروف عند الاكثرين . فنكتفي بالحث على مداومة السعي وراء اتقان رواياتنا ومراسحنا ليجد الشعب فيها طعاماً لعقله ... وشعبنا الآن في طور الانتقال وهو اكثر الاطوار حاجةً الى التغذية . وغذاء الروايات لذيذ مفيد . وخير الاطعمة ما جمع بين اللذة والفائدة ...

وقد اكتفى كتبتنا حتى اليوم بتعريب الروايات فلا يتكلفون مشقة تأليف الحوادث وتنسيق المشاهد وايجاد العقدة وحلها ورسم الطباع والاخلاق الى غير ما يقتضيه هذا الفن من الشروط المتعددة. ونعم ما فعلوا في اول الامر حتى يفسحوا مجالاً للروايات فتتوطن عندنا شيئاً فشيئاً ونألف قواعدها وندرك اسرارها

اما الآن فلم يبقَ لنا عذر على الاكتفاء بالتعريب والنقل فقد آن اوان اطلاق الاقلام من عقالها في هذا المضمار الجديد ولا ينقصنا الا النشاط ... والتنشيط

***

لا يرد ذكر العرب حتى تتوارد الى الخاطر معاني الشهامة والمروءة والشجاعة والكرم ورقة الغزل والوفاء الخ . ولا يقلب المطالع صفحات تاريخهم ويتصفح اخبارهم ونوادرهم واشعارهم حتى ينبعث من وراء سجف الماضي نور هذه الفضائل والمحامد السامية التي امتاز كل منهم بواحدة منها فاحرز بها صيتاً بعيداً حتى اصبح اسمه مرادفاً لها يتمثل الناس به وبها

فمن يذكر الكرم ولا ينسبه الى حاتم طي او يضيفه الى آل برمك . او متى لفظت كلمة الثأر ولم يلفظ اسم المهلهل . او متى ذكرت الشجاعة ولم تقرن باسم عنترة العبسي . او متى ورد حديث النسيب والهيام ولم يرد اسم ذلك المجنون المخلد الذكر . او متى دار الكلام على العفة ولم يدر على ليلى العفيفة . او متى جاء ذكر الوفاء ولم يجيء ذكر السموأل ... ؟

ويضيقُ بنا المجال عن ايراد كل الفضائل التي تحلت بها العرب فأدركت بها شأواً بعيداً حتى اقرت بها الامم ولم تحاول منازعتها فيها

ونحن نعجب بمثل هؤلاء الاشخاص لانهم ابطال . وندرك عواطفهم لانهم رجال . فاذا كان علو هممهم يدهشنا فان محركاتهم النفسانية نفهمها فتحركنا . فيجدر بنا والحالة هذه اعادة ذكرهم للاقتداء والتشبه بهم « ان التشبه بالكرام فلاحُ »

وقد اراد مؤلف هذه الرواية تمجيد احدى هذه الفضائل في شخص بطلها المشهور . وهي فضيلة « الوفاء » في شخص « السموأل بن عاديا » وقبل ان يقول كلمته فيها يليق به ان يورد هنا ما عثر عليه في كتب الاقدمين من تفاصيل هذه الحادثة لافادة القراء (١)

---

(١) قد اعتمدنا في هذه اللمحة التاريخية على « كتاب الاغاني » و« العقد الفريد » و « العقد الثمين في دواوين الشعراء الستة الجاهليين » الخ

والى هذه المصادر استندنا ايضاً في ايراد القديم من الشعر مع ادخال التحوير والتبديل حسب مقتضى الحال

تاريخ الاشخاص والامكنة

(السموأل وولداه عاديا وشريح)

هو السموأل بن عاديا صاحب الحصن المعروف بالابلق بتيماء (١) وكانت العرب تنزل فيه فيضيفها وتمتار من حصنه وتقيم هناك سوقاً . وهو المضروب المثل بوفائه فيقال « اوفى من السموأل » . وذلك ان امرأ القيس الكندي لما الحّ المنذر في طلبه ووجه الجيوش في اثره هرب ومعه يزيد بن معاوية وبنته هند والادرع والسلاح ومال كان بقي معه . وقد اشتهر من هذه الادرع خمس وهي « الفضفاضة والضافية والمحصنة والخرّيق وام الذيول » وما زال هائماً على وجهه حتى جاء السموأل بن عاديا في حصنه بتيماء . وفيه قال قصيدته :

طرقتك هند بعد طول تجنب   وهناً ولم تكُ قبل ذلك تطرقِ

فعرفَ لهم السموأل حقهم وانزل هنداً في قبة ادم . وانزل القوم في مجلس له براح ثم ان امرأ القيس طلب اليه ان يكتب له الى الحارث ابن ابي شمر الغساني بالشام ليوصله الى قيصر واستودعه المرأة والادرع والمال واقام معه يزيد بن عمه . وكان من امر امرىء القيس مع قيصر ما سيجيء ذكره

ثم جاء اعداء امرىء القيس وطلبوا من السموأل الوديعة . فأبى . وتحصن بحصنه فأخذو ابناً له ونادوه : « اما ان تسلم الادرع واما قتلنا ولدك » فأبى ان يسلم الادرع . فضربوا وسط الغلام بالسيف وابوه يراه . وكانت وفاة السموأل تقريباً سنة ٦٢ قبل الهجرة

﴿ عاديا ﴾ لم يذكر المؤرخون اسم ابن السموأل الذي نحاه ابوه في سبيل الوديعة . وقد سميناه عاديا على اسم جده

﴿ شريح ﴾ احد اولاد السموأل وفيه قال الاعشى قصيدته :

شريح لا تتركنّي بعد ما علقت   حبالك اليوم بعد القد اظفاري

---

(١) « تيماء » قال ياقوت هي بليد في اطراف الشام بينها وبين وادي القرى . وهي على طريق حاج دمشق

وقال ابن حوقل : وتيماء حصن اعمر من تبوك وهي بين وادي القرى والشام ولها نخيل وهي ممتار اهل البادية وبينها وبين اول الشام ثلاثة ايام

ووادي القرى على ما رواه ياقوت واد بين المدينة والشام

(امرؤ القيس وهند ويزيد)

هو امرؤ القيس بن حجر بن الحارث بن عمرو المقصور بن حجر آكل المرار وكان ميلاده في نجد نحو سنة ٥٢٠ للمسيح . ولما ترعرع اخذ يقول الشعر وقيل ان المهلهل خاله لقنه هذا الفن فبرز فيه الى ان تقدم على سائر شعراء وقته بالاجمال

قال الكلبي : حدثني ابي عن ابن الكاهن الاسدي ان حجراً كان طرد امرأ القيس وآلى ان لا يقيم معه أنفة من قوله الشعر وكانت الملوك تأنف من ذلك فكان يسير في احياء العرب ومعه اخلاط من شذاذهم من طي وكلب وبكر بن وائل . فاذا صادف غديراً او روضةً او موضع صيد اقام فذبح لمن معه في كل يوم وخرج الى الصيد فتصيد ثم عاد فاكل واكلوا معه وشرب الخمر وسقاهم وغنته قيانه . ولا يزال كذلك حتى ينفد ماء ذلك الغدير فينتقل عنه الى غيره . وفي اثناء ذلك قال معلقته الشهيرة : قفا نبكِ من ذكرى حبيب ومنزل الخ

ثم لم يزل امرؤ القيس مع صعاليك العرب حتى اتاه خبر مقتل ابيه وهو بدمون من ارض اليمن وقيل من الشام . اتاه به رجل من بني عجل يقال له عامر الاعور فوجده مع نديم له يشرب ويلاعبه بالنرد . فقال له : قتل حجر . فلم يلتفت اليه وامسك نديمه . فقال له امرؤ القيس : اضرب فضرب حتى اذا فرغ قال : ما كنتُ لافسد عليك دستك ثم سأل الرسول عن امر ابيه كله فاخبرهُ فقال :

خليليَّ ما في الدار مصحى لشارب ولا في غد اذ كان ما كان مشرب

ثم قال : ضيعني ابي صغيراً وحملني دمه كبيراً . لا صحو اليوم ولا سكر غداً . اليوم خمر وغداً امر . اليوم قحاف وغداً نقاف (١) فذهب القولان مثلاً

ثم شرب سبعاً فلما صحا آلى ان لا يأكل لحماً ولا يشرب خمراً ولا يدهن بدهن ولا يصيب امرأة ولا يغسل رأسه من جنابة حتى يدرك بثاره فيقتل من بني اسد مائة ويجزّ نواصي مائة . وشعره في هذا المعنى كثير

ثم أخذ بعد العدد وتجهز الاسلحة لمحاربة بني اسد فقاتلهم حتى كثرت الجرحى والقتلى . وملَّ رجاله وانصرفوا عنه

والحّ المنذر في طلب امرىء القيس ووجه الجيوش في طلبه ففرَّ من وجهه ونزل في اماكن مختلفة مما يطول ذكره . الى ان جاء السموأل وكان معه من امره ما تقدم

---

(١) قال الميداني : اي يشغلنا اليوم خمر وغداً يشغلنا امر الحرب ومعناه اليوم خفض ودعة وغداً جد واجتهاد . والقحاف جمع قحف وهو اناء يشرب فيه . والنقاف المناقفة . اي اليوم شرب بالقحاف وغداً نضرب هامة العدو

ولما انتهى الى قيصر الروم اكرمه وكانت له عنده منزلة ومنح اليه جيشاً كثيفاً وفيهم جماعة من ابناء الملوك . ولما وشى به الواشون ارسل له قيصر حلة مسمومة (١) وقال : اني ارسلت اليك بحلتي التي كنت البسها تكرمة لك . فاذا وصلت اليك فالبسها باليمن والبركة واكتب اليّ بخبرك من منزل منزل . فلما وصلت اليه لبسها واشتد سروره بها فاسرع فيه السم وسقط جلده فلذلك سمي ذا القروح . ويقال انه احتضر في انقره من بلاد الروم ورأى قبر امرأة من ابناء الملوك ماتت هناك فدفنت في سفح جبل يقال له عسيب فقال

اجارتنا ان المزار قريب   وانّي مقيم ما اقام عسيب
اجارتنا انا غريبان ههنا   وكل غريب للغريب نسيب

ثم مات فدفن الى جنب المرأة وكانت وفاته نحو ٥٦٥ م

وقد ورد ذكر امرىء القيس في تواريخ الروم فذكروا انه قبل وروده على قيصر يوستينيانس ارسل اليه وفداً ومعه ابنه معاوية يطلب منه النجدة على بني اسد وعلى المنذر ملك العراق فكتب قيصر الى النجاشي يأمره بان يجند الجنود ويسير الى اليمن ويعيد الملك لصاحبه ثم ان امرأ القيس لم يلبث ان سار بنفسه الى قسطنطينية . وذكر نونوز المؤرخ ان يوستينيانس قلده امرة فلسطين . وذُكر في كتاب قديم مخطوط ان ملك قسطنطينية لما بلغه وفاة امرىء القيس امر بان ينحت له تمثال وينصب على ضريحه ففعلوا وكان التمثال هناك الى ايام المأمون وقد شاهده هذا الخليفة لما دخل بلاد الروم ليغزو الصائفة.

وامرؤ القيس من فحول شعراء الجاهلية سبق الشعراء الى اشياء ابتدعها واستحسنها العرب قال نبي المسلمين عنه: «ذلك رجل مذكور في الدنيا منسي في الاخرة يجيء يوم القيمة وبيده لواء الشعراء يقودهم الى النار» ويروى ان كلاً من لبيد وحسان قال: ليت هذه المقالة فيّ وانا المدهدى فيها وفضله علي الامام بان قال : رأيت امرأ القيس احسن الشعراء نادرة واسبقهم بادرة . وانه لم يقل لرهبة ولا لرغبة

ويقال ان امير شعر امير الشعراء قوله من قصيدة :

البرّ انجح ما طلبت به   والبر خير حقيبة الرجل

﴿ يزيد ﴾ هو يزيد بن الحارث بن معاوية وهو ابن عم امرىء القيس نجا معه ورافقه في اسفاره ونزل معه على السموأل . ولما سار امرؤ القيس الى قيصر اقامه مع ابنته في الابلق كما تقدم

﴿ هند ﴾ هي ابنة امرىء القيس استودعها السموال مع ادرعه وماله . وقد ورد ذكرها كثيراً في شعر ابيها مما يطول ايراده

---

(١) وجاء في الميثولوجيا عند اليونان مثل هذه الحكاية عن « قيص نسوس » التي لبسها هركول فتناثر لحمه ومات

(الطماح)

هو رجل من بني اسد وكان امرؤ القيس قد قتل له اخاً فاندس الطماح واقام في بلاد الروم مستخفياً وجاء قيصر وروى الكلبي انه قال لقيصر : ان امرأ القيس غويٌّ فاجر وانه لما انصرف عنك بالجيش ذكر انه كان يراسل ابنتك ويواصلها وهو قائل في ذلك اشعاراً يشهرها بها في العرب فيفضحها ويفضحك . فبعث قيصر حينئذ الى امرىء القيس بحلة وشي مسمومة منسوجة بالذهب وكان ما كان كما تقدم في الكلام وفي ذلك يقول امرؤ القيس من قصيدة

لقد طمح الطماح من بعد ارضه ليلبسني من دائه ما تلبسا

(الربيع)

هو الربيع بن ضبع الفزاري شاعرٌ من فزارة وبنو فزارة حلفاء بني اسد وكان ممن يأتي السموأل فيحمله ويعطيه وكان الربيع من الخطباء الجاهليين وقد ادرك زمن الاسلام لانه كان من المعمرين وقال (؟) انه بقي الى ايام بني أمية وهو القائل

اذا عاش الفتى مئتين عاماً (؟) فقد ذهب اللذاذة والفتاء

ولما نزل عليه امرؤ القيس قال له « يا ابن حجر اني اراك في خلل من قومك وانا انفس بمثلك من اهل الشرف وقد كدت بالامس تؤكل في دار طي . واهل البادية اهل برٍّ لا اهل حصون تمنعهم . . . افلا ادلك على بلد تلجأ اليه فقد جئت قيصر وجئت النعمان فلم أرَ لضعيف نازل ولا لمجتدٍ مثله ولا مثل صاحبه » قال : من هو وابن منزله . قال . : السموأل بتيماء . وسوف اضرب لك مثله وهو يمنع ضعفك حتى ترى ذات غيبك . وهو في حصن حصين وحسب كبير . وذهب به الى السموأل وكان من امره معه ما كان . وقيل ان من قال هذا القول لامرىء القيس هو عمرو بن جابر الفزاري . وعمرو هذا سار به الى الربيع

***

هذا مجمل ما وقف المؤلف عليه في كتب العرب بعد ان ظلّ مدة ينفض الغبار عن مطويات الماضي وقضى ساعات لذيذة في مناجاة هذه الارواح الشريفة

ويرى القارىء مما تقدم ان هذا الموضوع من خير المواضيع الروائية التي يجدر بالكتبة ان يبرزوها الى معاصريهم على المراسح . فان فيه الحقيقة التي تولد التشويق . والحوادث التي تحرك العواطف . والعظمة التي توحي بالشعر وبليغ المعاني . فلا ينقصه

الا من يفيه حقه من التأليف . ولسنا لندعي بلوغ هذه الامنية لحداثتنا في هذا الفن. على حداثته عندنا

وقد اضفنا الى هذه الوقائع التاريخية من مخترعات المخيلة على قدر ما تسمح به قواعد هذا الفن . من ذلك انا ادخلنا بين عواطف المروءة والوفاء (١) واليأس والعظمة (٢) والبغض والثأر (٣) شعاعاً لطيفاً ينعش الافئدة ويقرب ادراك ما بعد عن الافهام . وهو حب ابن السموأل لابنة امرىء القيس وجعلنا هذا الحب عقدة الرواية الى غير ما هناك من الزيادات التي لا تخفى على القارىء

وليس ما يمنع الكاتب عن مثل هذا الاستنباط . فان شرط الروايات الاول — وهمية كانت او تاريخية — هو ان تكون تلك الروايات صورة الطبيعة والانسانية. فنشاهد فيها مرآة صافية تنعكس عليها عواطف هذه ومحركات تلك. فليراعِ المؤلف هذه القاعدة وليضع في صدور اشخاصه قلوباً تنبض كقلوبنا وليختلق حينذاك ما شاء

هذا ما قصدناه في روايتنا واذا كنا قصرنا مراراً عن تبيانه فلسنا ممن يدعون العصمة او يجهلون وعورة هذا المسلك

انطون الجميّل

---

(١) السموأل (٢) امرؤ القيس (٣) الطماح

اسماء الاشخاص

السموأل صاحب الابلق

شريح } ولداه
عاديا

الحارث خال عاديا ومهذّبه

امرؤ القيس بن حجر الكندي

هند ابنته

يزيد ابن عمه

الربيع بن ضبع الفزاري

الطماح رسول المنذر ملك العرب

علقمة رفيق الطماح

شيبوب قائد رجال السموأل

المنادي

﴿ امراء وفرسان وشعراء ﴾

الفصل الاول

الضيافة

يمثل المرسح الصحراء — والى جهته اليسرى الابلق حصن السموأل
يدخل المسافرون بعد ارتفاع الستار وعلى وجههم القناع
وهم يلتفتون يميناً وشمالاً

المشهد الاول

امرؤ القيس . يزيد . هند

امرؤ القيس (الى يزيد وهند)

قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزلِ   وذكرِ الليالي البيض بالسمد تنجلي
كأني غداة البين حين تحملوا   لدى سمرات الحي ناقف حنظل
وفاضت دموعُ العين مني صبابةً   على النحر حتى بلَّ دمعي محملي(١)
وقوفاً بنا صحبي نئن ونشتكي

يزيد —   تجلد ولا تهلك أسى وتجملِ

فها قد بلغنا غاية السفر وحططنا عصا الترحال على باب السموأل صاحب الابلق المنيع

امرؤ القيس — بل قد بلغت حدود الشقاء اي يزيد ان نفسي اصبحت تناجيني

(١) هذا مطلع معلقة امرىء القيس الشهيرة و « البين » هو الفراق و « تحملوا » ارتحلوا و « سمرات » جمع سمرة وهي شجرة و « الحنظل » شجر والمعنى انه يبكي في الديار عند رحيلهم فكانه ناقف حنظل . وناقف الحنظل ينقفها بظفره فان صوتت علم انها مدركة فاجتناها . وعينه تدمع لحدة الحنظل وشدة رائحته
« الصبابة » رقة الشوق. و « النحر » الصدر و « المحمل » السير الذي يحمل به السيف

بالاحجام بعد الاقدام . فان الدهر يأبى الا معاندتي والتفنن في بليتي . كيف لا وقد قادني من هاوية الى هاوية حتى أمسيت على باب عدوي استجير به

يزيد — وسيكون لك نعم الجار

امرؤ القيس — لا . فان حظي لا يزال حالكاً كانه شقٌ من جنح الدجى

وليلٍ كموج البحر أرخى سدوله ... عليَّ بانواع الهموم ليبتلي

الا ايها الليل الطويل الا انجلي ... بصبحٍ وما الاصباح منك بامثلِ

ليلٌ مدلهمّ أسدل علي سجوفه فجلببني بجلباب النكد والشقاء . فاصبحتُ بعد العزِّ والرفعة أجرّ ذيول العناء

لا في النهار ولا في الليل لي فرجٌ ... فلا أبالي أطال الليل ام قصرا

نبتْ بي الاوطان . وجفاني الاهل والخلان . فقمت أضرب في الاحياء ولا من مجير . وأهيم على وجهي بين القبائل ولا من نصير

يزيد — عهدتك رجلاً شديد البأس ثبتَ الجنان . لا يتولاه القنوط . فاخلع عنك ثوب الجزع . ولا تدع اليأس يستولي عليك . بل ظنّ بالسموأل خيراً . واصبر فما ظفر الا من صبر

امرؤ القيس — وحتى مَ التصبر وقد عيل مصطبري . . ؟ فمنذ درجتُ من المهد والشقاء اتبع لي من ظلي . . . قُتل ابي غيلةً . قتله بنو أسد الانذال وخلفوني أقاسي بعده مرّ العذاب . استنجدت على اعدائي في قبائل العرب . فلم اجد من ينهض لنصرة الحق . . . استجرت بالحرث بن شهاب فخان عهدي . . . لجأت الى نسيبي عمرو بن هند فهاله تهديد المنذر . . هربت الى هانئ بن مسعود فاعرض عني وانكرني . . .

لقد انكرتني بعلبك واهلها ... ولابن جريج كان في حمص انكرا

اذا قلت هذا صاحب قد رضيته ... وقرّت به العينان بُدلت أخرا

كذلك دهري ما أصاحب صاحباً   من الناس الا خانني وتغيرا

وهذا عدوي الطماح لا يزال يسعى بي لدى المنذر ويوغر صدره علي . وقد طرحتني الآن مطارح النوى امام حصن السموأل عدوي

يزيد ولكن ابشر بزوال المحن وقرب الفرج . فقد انخنا ركابنا بالابلق المنيع فعلينا ان نستجير بصاحبه الهمام . حامي الجار ومانع الذمار فهو ولا شك يبلغك امانيك وينصرك على من يعاديك . وقد قادنا اليه صديقنا الربيع بن ضبع الفزاري وهو من اخصائه والمقربين اليه (١)

هند — ها هو راجع الينا . عساه ان يحمل لنا ما تقر به نفوسنا

(يدخل الربيع الفزاري)

المشهد الثاني

الاشخاص ذاتهم . الربيع

الربيع — عمتم مساء يا كرام تركتكم قليلاً حتى جبت انحاء الحصن استكشف اخبار القوم . وجلُّ ما وقفت عليه ان السموأل ناءٍ عن الحمى . على ان غيبته لا تطول

امرؤ القيس — واي خير ارتجي من الابلق وصاحبه وقد كانت بيني وبين السموأل ضغائن لم تكن الايام لتمحوها . فهجوته في شعري واسلفته الاساءة بذمي له وتعريضي به . فاشتدت الشحناء بيني وبينه .. أوينصرني من هذه حالي وحاله وقد تخلى عني الاحلاف والاخدان (٢) .. ؟

الربيع — ان السموأل لكريمٌ ينسى العداوة اذا ما جئته مستجيراً . فهو من اوفى الناس ذماراً وامنعهم جواراً . يقري الضيف ويحمي الجار ولا يسأله احد شيئاً فيمنعه ولو كان عدواً

---

(١) الاغاني ج ٨ ص ٧٠

(٢) افترضنا وجود هذه العداوة بين السموأل وامرىء القيس وهذا مما يزيد في شهامة السموأل

واخو اخاء ذو محافظة　　　حلو الشمائل ماجد الاصلِ
شهمٌ اذا ما جئت قال ألا　　　في الرحب انت ومنزل السهلِ

يزيد — وعلى كلٍّ فاين المفر وقد قامت علينا الدنيا باسرها . . ؟

امرؤ القيس — اجل . خذلتني قبائل العرب . . . اما قيصر الروم (١) فقد يئست من نجدته . فدون الوصول اليه خرط القتاد وتحمل الويلات الشداد . فلا اطمع بنيل اماني .

ألا ابلغْ بني حجر بن عمرو　　　وابلغ ذلك الحيَّ البعيدا
باني قد هلكت بارض قومٍ　　　بعيداً عن ديارهم طريدا
ولو اني هلكت بارض قومي　　　لقلت الموت حقٌّ لا خلودا
أعالج ملك قيصر كلَّ يومٍ　　　واوشكت المنية ان تقودا
بارض الشام لا نسب قريب　　　ولا حامٍ فيمنع او يذودا

يزيد — بالله يا ابن العم وبحق دم ابيك . عدْ الى همتك . وانبذْ بعيداً عنك هذا القنوط . دعوك بامرىء القيس اعني رجل الشدة (٢) فكن اذن حازماً . صابراً على مضض البلوى

الربيع — يا ابن حجر . لا تطأطئْ رأسك اذا ما هبت عليك رياح النوائب وثارت عواصف الخطوب بل كن صابراً متجلداً . لقد احتدمت بينك وبين الايام نيران حرب عوان . فتدرع بالصبر والاقدام

فصبراً في مجال الضيقِ صبرا　　　ولا تقنط اذا صادفت عسرا

---

(١) كانت العرب تسمي قيصراً من ملك الشام مع الجزيرة من الروم قال المسعودي في كتاب مروج الذهب : وتفسير قيصر اي شقٌّ عنه وذلك ان اغسطس الذي هو الثاني من ملوكهم ماتت امه وهي حامل به فشق بطنها . وكان هذا الملك يفتخر في وقته بان النساء لم يلدنه

(٢) اسمه جندح . وامرؤ القيس لقبٌ غلب عليه ومعناه رجل الشدة

امرؤ القيس — (بعد سكوت) وهبْ ان السموأل تناسى الماضي فأجارني . فأنّى له ان يمنعني من المنذر بن ماء السماء من بث العيون والارصاد في طلبي . وجند عليَّ كل القبائل فلم يقوَ حيٌّ من احياء العرب على نصرتي

الربيع - اجل ايها الامير نزلتَ على احياء العرب فرأيت ضعفهم على إجارتك فأهل البادية اهل برّ لا اهل حصون تمنعهم . لكنَّ حصن صاحبنا منيع عزيز . فقد جئت القيصر وجئت النعمان فلم أرَ لضعيف نازل ولا لمجندٍ مثله ولا مثل صاحبه . فهو يمنع ضعفك حتى ترى ذات غيك. ولسوف اضرب لك مثله بحرمة الجار ولو عدواً (١)

امرؤ القيس — انا لا ادري كيف اجد الى شكرك سبيلاً يا من مدَّ اليَّ يد المساعدة فانتشلني من الهاوية . هجرت لاجلي ربعك ونأيت عن ذويك . فلا عدمتك من خلٍ وفي ايها الشهم الكريم. ولقد سلمت اليك زمام امري فانقاد لك حتى النهاية

انّي بحبلك واصلٌ حبلي   وبريش نبلك رائشٌ نبلي(٢)

يزيد — فهيا بنا نتابع خطتنا فقد كدنا نصيب الهدف ونحظى بالمرغوب فنثأر من قاتلي سيد أسد وغطفان

هند— وارحمتاه على قتلانا .. !

ايا عين اذرفي دمعاً سخينا   على قتل الملوك الماجدينا
ملوكٍ من بني حجر بن عمرو   يساقون العشية يقتلونا ...
فلو في يوم معركةٍ أصيبوا   ولكن في ديار الخائنينا

---

(١) الاغاني ج ٨ ص ٦٩

(٢) راش السهم الزق عليه الريش ليحمله في الهواء كما يحمل الطائر : قال الشاعر

ما لقوي عن ضعيف غنى   لا بدّ للسهم من الريش

ولم تغسل جماجمهم بغسلٍ ولكن بالدماء مغسلينا
تظلُّ الطير عاكفةً عليهم وتنتزع الحواجب والعيونا
بحقكَ يا ابي جرّد حساماً لتثأرَ للجدود الملحدينا

امرؤ القيس—وعلى ذلك وقفتُ حياتي . وهذا ما يدفعني الى الامام . . . يعلم الله يا ابي ان دمك لا يذهب هدراً . فقد آليت على نفسي ألاَّ ارتدَّ عنهم حتى ابني على ضريحك قبةً من هامهم

هند—آه انني كنت صغيرة آنئذٍ ولكنني لا ازال أذكر ما حلَّ بنا حين وافى الناعي (١) ربعنا حاملاً نعي جدي حجر . فعمَّ الحزن وشمل الاسى . لكنك انت يا ابي لم تنتحب كالغير بل سمعتك تردد شعراً لا يزال راسخاً في ذهني :

أرقتُ لبرقٍ بليلٍ أهلْ يضيء سناهُ باعلى الجبلْ
أتاني حديثٌ فكذبتهُ بامرٍ تزعزعُ منه القللْ
بنو اسدٍ قتلوا ربهم ألا كلُّ شيءٍ سواه جللْ
فاين ربيعة عن اهلها واين تميمُ واين الخولْ

ثم رأيتك وقد امتشقت البتار وانت تهدد وتتوعد فلم افهم ولكنني لم انسَ بعد هيئتك الرائعة

امرؤ القيس—نعم يا ولدي حلفٌ هائل حلفته امام السماء وأردده الآن في هذا الليلِ الرهيب فيمكنكِ ان تدركي سرَّهُ وتقومي به ان

---

(١) من عوائد العرب ما حكاه الاصمعي قال : كان العرب اذا مات فيهم ميت له قدر ركب راكب فرساً وجعل يسير في الناس ويقول « نعاء فلاناً » اي انعه واظهر خبر وفاته وهي مبنية على الكسر مثل « نزالِ »

غالني غائلُ المنيـة قبل بلوغ الوطر ... أقسمتُ ان الخمر عليَّ واللعبَ حرام حتى أبيد بني اسد القاتلين سيدهم (١)

انَّ جنبي عن الفراش لناب ... كتجافي الاسرّ فوق الظراب
من حديث نمى اليَّ فلا تر ... قدُ عيني ولا أسيغُ شرابي
يا ابي لو أنّي شهدتك اذ تد ... عو تميماً وانتَ غير مُجاب
لتركتُ الحسام تجري ظباهُ ... من دماء الاعداء يوم الضراب
ثم طاعنت من ورائك حتى ... تبلغ الرَّحب او تبزَّ ثيابي
ويحكم يا بني أسيّد إني ... ويحكم ربكم ورب الرباب
فارسٌ يطعنُ الكتيبة بالرم ... ح على نحرهِ كنضح المذاب
فارسٌ يطعنُ الكماة جريءٌ ... تحتهُ سابحٌ كلون الغراب

هند — عفواً سيدي . فلقد ذكرتك دون عمد مني اموراً يثقل عليك سماعها فهاج هائجك وتلظى غضبك

---

(١) الاغاني ج ٨ ص ٦٥ وراجع ايضاً ما جاء فى المقدمة بهذا الشان وجاء في « بلوغ الارب » : كان العرب يحرمون الخمر على انفسهم فى مدة طلبهم لانها مشغلة لهم عن كريم الاخلاق والاقبال على الشهرة

قال الشنفري يرثي خاله تأبطّ شراً من قصيدة :

فادّركنا الثـار فيهم ولما ... ينجُ من لحيانِ الا الاقل
حلت الخمرة وكانت حراماً ... وبلأيٍ ما الَمت تحـل

وجاء فى كتاب مساوىء الخمر : غزا امرؤ القيس بني اسد ثائراً بابيه ... فظفر بهم وقتل مقتلة عظيمة وفي ذلك يقول :

لا تسقينّي الخمر ان لم يروا ... قتـلى فئاماً بابي الفـاضلِ
حلت لي الخمر وكنت امرءاً ... من شربها فى شغلٍ شاغلِ
فاليوم اشرب غير مستحقبٍ ... اثماً من الله ولا واغلِ

قال اسمعيل بن هبة الله فى كتاب الاوائل : اول من اخترع هذا المعنى امرؤ القيس فى هذا الشعر

امرؤ القيس — لا يا ولدي . بل ذكرتني اقدس الواجبات فأعدت اليَّ همتي ونشاطي

فمن يبلغ الطماح عني وقومه بأني بثاري لا محالة لاحقُ
ستسمدني بيضُ الصوارم والقنا وتحملني الضمرُ العتاق السوابقُ

الربيع — ها الشمس توارت وراء الصحراء فلنصبرنَّ قليلاً ثم نقرع باب السموأل فتستودعه دروعك ومالك وتستأنف السير الى قيصر الروم تستنجده فيمدك بجيوش تجمعها الى فرسان كندة وكتائب حِميَر فيتم لك الظفر وترغم انف الحساد

هند — ودعني الآن أغنيك ابياتاً حفظتها من نظمك فغنائي يطارد عنك احزانك ويبدد اشجانك

امرؤ القيس — هاتي يا قرة العين . فصوتكِ العذب يؤاسيني في بلوتي ويعزيني في كربتي . فأنتِ منشأ ارتياحي ومعدن افراحي ومرمى غدوي ورواحي

هند — (تنشد)

يا لهفَ هند اذ خطئنَ كاهلا القاتلين الملك الحلاحلا (١)
خير معدٍّ حسباً ونائلا والله لا يذهب شيخي باطلا
حتى أبيد مالكاً وكاهلا (٢)

(تفتح كوة من الحصن اثناء الانشاد ويشرف منها عاديا بن السموأل)

المشهد الثالث

الاشخاص ذاتهم عاديا (من الكوة)

عاديا — ما اعذب هذا الصوت وما ارقّ الحانه . فهو يسبح رب الاكوان ويناجي الاطيار على الاغصان . . . طابت الانفاس ايها المنشد الكسير الفؤاد .

---

(١) الحلاحل السيد الشريف (٢) و«مالك وكاهل» حيان من بني اسد . وبنو اسد قتلوا اباه

أعد غناءك فهو ندى الصباح وبلسم الجراح

هند — (غناء)

ايا اهل هذا الحصن اني اتيتكم شريداً طريداً قاصداً لحماكم
فلا تنكروني انني انا جارُكم ولي املٌ ان تسمعوني نداكم

صوت عاديا (من داخل الحصن) هيا يا اخي شريح فلنخرج الى الاكمة

صوت شريح (كذلك) انا لك

❋ المشهد الرابع ❋

(الاشخاص ذاتهم · ما عدا عاديا)

الربيع — اني اتفاءل بحسن المبتدا فان محادثة ابن السموأل تبشر بحسن المآل

يزيد — حقق الله ظنك يا بشير الخير

هند — ان ابن السموأل لفتى مثلي وحماسة الفتيان تجعل لنا فيه خير مساعد

امرؤالقيس — ربي · اني رجوتك . فلا تخيبْ راجيا

(يدخل عاديا واخوه شريح — يضع المسافرون اللثام)

❋ المشهد الخامس ❋

(الاشخاص ذاتهم · عاديا وشريح)

عاديا — السلام على الغرباء الكرام ... نزلتم اهلاً ووطئتم سهلاً

الربيع — حييتما بالمثل يا اكرم الفتيان وبلغ الله بكما اكلأ العمر

عاديا — (لهند) انتِ هي لا شك المنشدة ذات الصوت الشجي . فان كان صفاء قلبكِ كصفاء انغامك وسلامةُ طويتك كسلامة الحانك

فاودُّ ان تربطني واياكِ عرى المحبة والاخاء ... (يقترب منهم) ومن تكونون يا زين الكرام

الربيع — إنا لكم اضيافٌ يا ابن الامجاد . وأمامك رجل من اشراف العرب خائف على دمه وماله . وهذه ابنته ونحن من انسبائه وانصاره . وقد اتينا نستجير بحماكم

عاديا — رحبت بكم الديار يا كرام ... وممن انتم خائفون ؟

يزيد — من عدوّ نكل بذوينا واوقع بنا الويلات . فخلف ربوعنا بلاقع وهو لا يزال الى الآن يجد في أثرنا من حي الى حي ومن نزل الى نزل

شريح — تباً للظالمين ما اقبح اعمالهم وافظع فعالهم

عاديا — لقد رق قلبي لبلواكم وانعطف فؤادي لشكواكم . فباسم والدي السموأل بن عاديا أُنزلكم بحمانا وأُجيركم بابلقنا هذا

شريح — حسناً فعلت يا اخي فانا الآن احب هؤلاء الغرباء كانسباء لنا واتمنى لهم كل خير

الربيع —

قد جلت ما بين احياء مفرقة ... وطال في العجم تردادي وتسياري
فكان اكرمهم مجداً واوثقهم ... عهداً ابوك بعرف غير انكارِ
كالغيث ما استمطروه جاد وابله ... وفي الشدائد كالمستأسد الضاري

(يدخل الحارث)

المشهد السادس

(الاشخاص ذاتهم . الحارث)

الحارث — (لعاديا وشريح) خرجتما يا عزيزيَّ في هذا المساء ولم تنتظراني (يرى المسافرين) اراكما بحديث مع هؤلاء الغرباء فمن يكونون ..؟

عاديا — عرب كرام يستحقون كل مليحة

الربيع — (للحارث) أبيت اللعن ايها الهمام . نحن قاصدون صاحب الابلق المضياف

عاديا — أتوا يستجيرون بنافاجرتهم باسم والدي (للمسافرين) هلموا الى الحصن ايها الامجاد . ننزلكم في جوارنا على الرحب والسعة فتأكلوا من زادنا ونشملكم بذمامنا

الحارث — (لعاديا) على رسلك يا ولدي . لقد اسرعت قولاً وعملاً ولم تتبصر في عاقبة ما انت عليه قادم . فان من يجير الناس يأخذ على عاتقه تبعتهم واوزارهم

عاديا — انا لست من يجهل حقوق الجار .. يشهد علي العليم بما في السرائر اني اذا مست الحاجة لابذل روحي في سبيل من أجيره

شريح — نعم يا سيدي دماؤنا فداء لجارنا فدعهم يدخلون

الحارث — انى انني على ما تبديانه من كريم المهزّة . ولكن يا ولديّ ليس لنا في غياب صاحب الابلق ان نجير اياً كان . فتربصا ريثما يعود ابوكما فله وحده حق الاجارة

عاديا — لستُ إخال والدي الا مثبتاً ما نحن فاعلون . وانت تعلم انه لا يمضي الا القليل حتى تقام السوق الحولية (١) ويجري السباق فانزل الى المضمار لاول مرة ونحن بحاجة الى منشدين صائمين . وهذه الاعرابية كفوءة بالغناء

الحارث — (للمسافرين) عفواً يا كرام العربان . قدمتم علينا فرحباً بقدومكم . سيرسل لكم الطعام والشراب . ولكن يتعذر علي وايم الحق ان أدخلكم الحصن وأجيركم فيه وصهري غائبٌ

(١) كانت العرب تنزل فى حصن السموأل فيضيفها وتقيم هناك سوقاً (الاغاني جزء ١٩ صفحة ٩٨)

امرؤ القيس — بالصواب نطقتَ يا ابن الامجاد . ونحن تأبى علينا الشهامة ان نحملكم اتعاباً واثقالاً

الربيع — وهل يطول غياب صاحب الابلق

الحارث — لا . نحن الليلة بانتظاره . فقد قصد بشرذمة من رجالنا احد الاحياء المجاورة في طلب عدوه امرىء القيس بن حجر الكندي

(يضطرب المسافرون اما الحارث فيقول هذا دون ان ينتبه لوقع كلامه ويعود الى محادثة عاديا)

امرؤ القيس — (على حدة) يا لله ..! السموأل في طلب امرىء القيس ناقماً وامرؤ القيس على باب السموأل لائذاً ..

عاديا — (للحارث) لكنني اعطيتهم عهدي فلا احنث بقولي . لا ومن رفع السماء لستُ اخفرُ ذمتي . . . (للمسافرين) أجرتكم ايها الامجاد فلا اتخلى عنكم فيقال ان وُلدَ السموأل عابوا اباهم . اجرتكم وأحبُّ الي ان اجود بدمي في سبيلكم من ان يمسكم احد بضرر

يزيد —

طابت أرومتكم وابنع فرعكم والفرع يُعرف منه طيب العنصرِ
لا زلتم غوثاً لكل ملمة والدهر يخدمكم طوال الاعصرِ

عاديا — فهلموا يا كرام العرب ندخل الحصن فنقدم لكم طعام الضيافة

هند — (ناظرة الى الخارج) ما هذا الغبار المرتفع من وراء الاكمة .. ؟

الحارث — (كذلك) هذا ابوك يا عاديا . (على حدة) ارسله الله في حينه

(يخرج الحارث وعاديا وشريح لملاقاة السموأل)

امرؤ القيس — لحاك الله يا قلبي ما لك تزيد خفوقاً ... آه باي لسان أخاطب السموأل .. ؟

الربيع —

خفض الجأشَ واصبرن رويداً　　فالرزايا اذا توالت تولّت.

امرؤ القيس — (ناظراً الى الخارج) وهل تخدعني عيني . . . لا . لا . هو الطماح عدوي الالد يميس عجباً ويختال تيهاً الى جانب السموأل.

يا لخيبة مسعاي . . . !

يدخل السموأل والى جانبيه ولداه والطماح والحارث وعلقمة وبعض رجاله يضع المسافرون اللثام على وجوههم ويرجعون الى مؤخر الملعب

المشهد السابع

(الاشخاص ذاتهم والسموأل والطماح وعلقمة الخ)

عاديا — (وهو داخل لابيه) اجل يا سيدي علمتني اغاثة الملهوف ولست بمن ينسى تعاليمك

السموأل — حسناً فعلت يا قرة العين . اقتفِ آثار اجدادك وكن عوناً لمن يعلق عليك املاً

الحارث — لقد اسرع عاديا باجارته قوماً نجهلهم ونجهل غايتهم

السموأل — لا يا اخي ما في عمل الخير من اسراع . ولسنا لنوصد بابنا قط بوجه طارق

فما اخمدت نارٌ لنا دون طارقٍ　　ولا ذمّنا في النازلين نزيلُ

ونحن كماء المزن ما في نصابنا　　كهامٌ ولا فينا يُعدُّ بخيلُ

عاديا — ها هم الغرباء الذين طرقوا علينا

السموأل — (للمسافرين) رحبتِ الديارُ بالاعراب الامجاد . قدمتم علينا قدوم خير . فكفيتم على الرحب والسعة الهم والضير . نزلتم

علينا فاهلاً بخير نازلين . فالسموأل لا يردُّ سائلاً ولا يجيب قط بلا

امرؤ القيس = (يتقدم)

اني اتيتُ الى الكرام مفاخراً والى السموأل جئته في الابلقِ
فاتيت افضل من تحمل حاجةً إن جئته في غارم او مرهق
عَرفت لهُ الاقوام كلَّ فضيلةٍ وحوى المكارمَ سابقاً لم يسبقِ

السموأل = (متبسماً) كنتُ في طلب شاعر هجاني فظفرتُ بشاعر يمدحني.
فلم أعد بصفقة خاسر

الطماح = (يكون كل هذه المدة يلاحظ امرأ القيس — على حدة) هذا صوتٌ
لا اجهله . . . اتبلغُ منه القحة . . ؟ هذا قدُّهُ . . . لا . لم
يخطىء ظني

السموأل = طال بنا الوقوف . فلندخل الحصن ولنحتف بالقادمين علينا

الطماح = (ينتصب بوجهم صارخاً :) قفوا (للسموأل) يا ابن عاديا لا تفعل
فتجعل الافعى في حجرك . انت تجير رجلاً تجهلهُ وتجهل اسمه .
فانا أُطلعك على دخيلةِ الامر . اسم تستشيط حنقاً من سماعه . ورجلٌ تترنح فرحاً
للقائه والتنكيل به . أميطوا عنه النقاب فيتبدَّى لك من ورائه رجلٌ طالما تقتَ الى
مشاهدته وجهاً لوجه . . تظهر لك من ورائه طلعةُ من كنتَ تجدُّ في طلبه . . .
يبدو لك من وراء اللثام وجه عدوك الالد امرىء القيس بنِ آكل المرار (١)

امرؤ القيس = (يكشف عن وجهه القاب) لقد طال التخفي . . . أجل يا ابن عاديا.
امامك الملك الشاعر امرؤ القيس بن حجر الكندي سيد اسد
وغطفان . وقد عاندتهُ تصاريفُ القدرِ فطرحتهُ امام حصنك

---

(١) سمي حجر بآكل المرار لانه لما بلغه ان الحارث بن جبلة سبى امرأته جعل يأكل المرار من الغيظ وهو لا يدري . والمرار نبت شديد المرارة

اني امرؤٌ عرفت معدٌّ فضلهُ   من خيرِ نسل العرب والاعجامِ
خالي المهلهلُ قد علمتَ مقامهُ   وابو يزيد ورهطهُ اعمامي (١)

(للطماح)

وأنازلُ البطلَ الكريهَ نزالهُ   واذا أنازلُ لا تطيشُ سهامي

الربيع — (كذلك) وانا الربيع بن ضبع الفزاري صاحبك القديم. اتيتك بالكندي لتجيرهُ ولستُ لاتخلى عنه ساعةَ الضيق فيدي بيده

امرؤ القيس — وانت ايضاً يا طماح رجلٌ طالما تقتُ الى مصادفته. فلنخرج من حمى السموأل وما إلاّ ان تصول الخيلُ صولةً فاعفر وجهك بالتراب

فان تدفنوا الداء لا نخفه   وإن تبعثوا الحربَ لا نقعدِ
وان تقتلونا نقتّلكمُ   وإن تقصدوا لدمٍ نقصدِ
وأعددتُ للحربِ وثابةً   جوادَ المحثة والمرودِ
وذا شطبٍ مرهفاً حدهُ   اذا صاب بالعظم لم ينأدِ (٢)

الطماح — (لامرىء القيس) خفف من غلوائك يا ابن حجر. فليست لتجديك نفعاً وانت تعلم ان شأننا سيكون على غير ما تتوهم (للسموأل) اما الآن ايها الامير وقد كشفتُ لك النقاب عن وجه عدوك فلم يبقَ إلاّ ان تسلمه اليَّ فأدركَ ثاري من قاتلِ اخي ويكون لنا احسنُ شأنٍ لدى المنذر بن ماء السماء

السموأل — (بعد سكوت) لقد اخطأت الظن بنا يا طماح. لستُ بمن يخفرُ ذمة الجار ولو عدواً. (لامرىء القيس) اجل يا ابن حجر كنت

---

(١) أمه فاطمة بنت ربيعة اخت المهلهل وكليب. وابو يزيد من اشراف كندة

(٢) من قصيدة مطلعها: تطاول ليلك بالاثمد   ونام الخليُّ ولم ترقدِ

يقال: فرس جواد المحثة اي اذا حثَّ جاء جري بعد جري — والمرود: حديدة تدور في اللجام   لم ينأدِ: لم ينثنِ ولم ينعوج ولكنه يذهب في العظام ويجاوزها

عدوي الالد ومن ارجو الله ان يظفرني به . يشهد علي من يعلم الغيب انني لو ظفرت بك قبل اليوم لسقيتُ حسامي نهلته من دمك .. لم اكن لاعبأ بكتائبك الجرارة ولا بفرسانك الاباسل. ولو اني علمت بمقرك آنذاك لانقضضتُ عليك ولا انقضاض الصواعق وانتشلتك كما ينتشلُ عقابُ الجو فريستهُ وحلقتُ بك نحو وكري المنيع... هذه هي عواطفُ الانتقام ودواعي الاثآر التي كانت تدور في خلدي حتى اليوم... اما الآن وقد اجارك ولدي واصبحت ضيفي فانبذُ بعيداً عني كل الضغائنِ والاحقاد. وامنعك مما نمنع منه انفسنا . فتحرسك ابطالي وتتفانى في خدمتك رجالي ... كنتَ عزيزاً قوياً فهدرتُ دمك . اما وقد ناء عليك الدهرُ بكلكلهِ فاصبحتَ عندي مقدساً. فانزل في حصني وانا أُقسم بشرف الاجداد والسبع الطباق انه لا يصل اليك احدٌ باذى وانا حي . ولو كان ابن ماء السماء بعينه . وهذه يدي لك بالذمام . (يصافحه)

الربيع — عشتَ لا تنكدْ ... لم يخطيء ظني بشهامة الكرام

امرؤ القيس —

منعتَ الليثَ من اكل بن حجرِ ... وكاد الليثُ يودي بابنِ حجرِ
منعتَ فانت ذو منٍ ونعمى ... عليَّ ابنَ الكرامِ بحيث تدري
سأشكرك الذي دافعتَ عني ... وما يجزيك عني غيرُ شكري
فما جارٌ باوثقَ منك جاراً ... ونصرُكَ للطريد اعزُّ نصرِ

السموأل — ابشر يا اخي بزوال الهم والضير وحصول النعم والخير . فلقد اجرتك من جميع العربان ولو كان الملك النعمان او كسرى انو شروان

الطماح — (للسموأل) أهذا ما عولتَ عليه فارجعَ الى سيدي المنذر واطلعه على ما جرى وحدث ؟

السموأل — اجل يا طماح . أليس هذا ما تقضي به النخوةُ والشهامة ..؟
اما انتَ فالبثْ عندنا تقيم ثلاثة ايام الضيافة ثم تذهب

الطماح — عفواً . يجبُ عليَّ ان اشخصَ الى مضارب قومنا قبل يومين .
هيا يا علقمة . (وهو خارج ينظر الى امرىء القيس) سنلتقي ...

(يخرج الطمّاح وعلقمة)

السموأل — اذهب واصنعْ ما انت صانع

هند — عاشَ واللهِ السموأل مانع الجار . وحامي الذمار .. !

المشهد الثامن

(الاشخاص ذاتهم ما عدا الطماح وعلقمة)

امرؤ القيس —

كأني إذ نزلتُ على المعلّى ... نزلتُ على البواذخ من شمامِ
فما ملكُ العراق عليك يوماً ... بمقتدرٍ ولا الملكُ الشآمي
أقرّ حشا امرئ القيس بن حجر ... بنو تيماً مصابيح الظلامِ (١)

اما وقد اصبحت نصيري ومجيري فعليَّ ان أسلم اليك زمام امري وأطلعك على ما انا فاعل : فقد جئتك بادرعي الكندية فهي كنزي الوحيد وميراثي الثمين . اتخذتها عن اجدادي وادّخرتها لي عدةً على نوائب الدهر . منها خمسٌ قد طار ذكرها في الآفاق وهي الفضفاضة والضافية والخريق والمحصنة وام الذيول . فانا استودعكم اياها مع سائر الاسلحة . وكفاها اهميةً ان فيها طالعَ النصر لمن أحرزها

(١) الباذخ المرتفع وشمام اسم جبل : يقول انت تمنعني كما لو نزلت على جبل شاهق لا يوصل اليه

وملك العراق كان في ذلك العهد النعمان بن المنذر والملك الشآمي هو الحارث بن ابي شمر الغساني . وفي الاصل قال امرؤ القيس هذه الابيات في غير السموأل

وعربون الظفر لمن كانت لهُ . فتجعل صاحبها بمقام الف . فانا لستُ مودعها غيركم (١)

يزيد — وهي ادرعٌ منيعةٌ لم يُسمع بمثلها في سالف الحقب . ولكم طلب الملوك نظيرها فلم يجدوا . ولكم وفدت وفود ملك العراق لتغتصبها فلم تجد اليها سبيلاً . ولطالما بثَّ المنذر علينا العيون والارصاد ليسلبنا اياها فعجز وكلّ . . . فهي المعين اذا سُدَّت الطرق وستكون لنا ظهراً قوياً متى جاءتنا جحافلُ الانصار وكتائب الاحلاف

امرؤ القيس — فانا اسلمها اليك مع ابنتي ومالي وكل ما لدي يا مجيري الهمام واضعها في ذمتك ولا اخاف

السموأل — وعليَّ بحفظها طالما اردت . فهي ستبقى عندي ولا ينزعها احدٌ مني قبل ان تُنزع مني الحياة . ولست أُسلمها الا الى من تشاء . وان اضطرني الامر فقسماً بمن أرسى شامخات الجبال إني أضحي ولدي دونها ولا اخفر ذمتي

عاديا — وانا ايضاً يا ابي قد أقسمتُ بالخلاق العظيم اني اجود بنفسي راضياً في سبيل من اجرتهُ وفي سبيل وديعتهِ

امرؤ القيس — اما الآن وقد أمنتُ على مالي وسلاحي فاني سائرٌ الى قيصر الروم استنجدهُ فيمدني كما وعدني رسولهُ بالعساكر والعدد فاعود بتلك الجحافل الجرَّارة وأشنُّ الغارة على اعدائي فيتم لنا الظفر وتكون لي الغلبة . والفضل في كل ذلك عائدٌ اليك يا شهماً كريماً

السموأل — انك في عهدي وذمتي . والشرف يقضي بما فعلت . وها اني أُسيّر معك شرذمةً من رجالي خوفاً عليك من الغوائل فيبلغون

---

(١) الاغاني ج ٨ ص ٦٨

بك الى نسيبنا الغساني صاحب الشام فيمهد لك الطريق الى قيصر الروم (١)

يزيد — لقد غمرتنا ايها الامير ببحر عوارفك الطامي وشملتنا بظلك الوارف . فلا زلتم يا نسل الاماجد على ثوب الزمان طرازا . تزداد بكم القبائل رفعةً واعتزازا . فبكم يفتخر الزمان وبمثلكم تبخلُ الايام

السموأل — كفوا عن الثناء يا كرام . فليس من عربيٍ منسوب الا وهو فاعل ما نحن فاعلون ... وهيوا بنا يا امجاد العرب ندخل الابلق فقد خيم الظلام

(يدخل الجميع الى الحصن)

امرؤ القيس — (يتأخر عنهم — لهند)

هلمي لتوديعي على املِ اللقا فانا سراعاً لاحقون بقيصرا
ولا تذرفي الدمعَ السخينَ فانما نحاولُ ملكاً او نموت فنعذرا

---

(١) الاغاني ج ٨ ص ٧٠

الفصل الثاني

الخديعة

﴿ قاعة في الابلق : رمحان مركوزان في الارض . وعلى
(الحائط سيوف وتروس) ﴾

﴿ المشهد الاول ﴾

—(يزيد . الربيع)—

يزيد — لله ما اكبر نفس السموأل وما اشرف سجاياه فقد وجدنا عنده من اكرام المثوى وحرمة الجار ما لم نجده قط عند عرب ولا عجم . فجزاه الله خيراً على اصطناعه الينا

الربيع — وها إن الدهر قد بسم لنا فقد وافى الابلق هذا الصباح رسول من الشام يحمل البشائر بوصول امرىء القيس ظافراً غانماً . وقد مدّه قيصر الروم بجحافل وكتائب جرّارة يقوى بها على محاربة اعدائه والتنكيل بالذين تمردوا عليه وشقوا عصا طاعته (١)

يزيد — اجل . بيد اني لا ازال مرتاباً بامر الطماح عدوّنا الالد . فهو لا ينفكّ يتعرض لنا ويحاول الايقاع بنا . والذي يجتني في ظني هو عدوله عن خطته الاولى وتملقه ايانا بعد مكاشفته بالعداوة وانعطافه عانا بعد مظاهرته بالشحناء . فهو لا يزال يضمر لنا الشرّ ويتحين الفرص لبلوغ الوطر

الربيع — وعلامَ يقوى الطماح وقد اعطانا السموأل ذمته فلا يخفرها

(١) الاغاني ج ٨ ص ٧٠

فليسعَ ما شاء فمكائده ُ أوهى من نسيج العنكبوت وإنْ هو الا كالذئب يعوي عواء فيسكته ُ الاسد ُ الذي نحن في عرينه ِ

يزيد — لا تقل ْ يا صاح . فمكائد الاشرار اوسع من ان تُحدّ . فتجعل لهم قوة ً في استنباط حيل ٍ تعي ابليس َ نفسه ُ . ومما نبه مني الخاطر هو تغيبه ُ عن الابلق ثم رجوعه ُ ثم عزمه ُ على حضور السباق الذي يجري في هذا النهار فقلت ُ إن في الامر لسراً خفياً . والطماح هذا - وانت ادرى به - فارس ٌ مغوار في ميدان الدسائس والخيانة

الربيع — لقد تمهدت الآن امامنا جميع السبل واوطأ نا الدهر على نيل المنى . ونحن سلمنا مقاليد امورنا الى الاله الجبار وهو على كل شيء قدير

يزيد — وبه نأمل حسن الختام

الربيع — وما علينا الآن الا ان نشاطر القوم الافراح فان الابلق قد برز بمظهر العيد وتجلى بحلة الابتهاج لان الامير عاديا ينزل في هذا النهار الى الميدان ويجاري الفرسان لاول مرة

(تدخل هند حزينة كئيبة)

﴿ المشهد الثاني ﴾

الاشخاص ذاتهم • هند

الربيع — اهلاً بالمنشدة ذات الصوت الرخيم . ان نغماتك اللطيفة كانت لنا مفتاحَ باب الفرج

يزيد — لا شك انك ِ هيأت ِ انشودتك لهذا النهار . فسيحضر هذا السباق امراء كرام وفرسان ٌ عظام . فاشحذي قريحتك واجلي صوتك ِ فيسر ّ الجميع ُ بانغامك الشجية و يطرَبوا بالحانك الحماسية

هند — (بكآبة) لا يا عماه. ليست نفسي لتطيب بالغناء في هذا الصباح. ولا يلذُّ لي انشاد الاشعار والالحان

يزيد — (بقلق) ما للحزن يا ولدي يغشي جبينك الوضاح..؟ لم نرك قط على مثل هذه الحال بل كنتِ دائماً تعزيتنا في كربتنا تلوحين لنا في ظلام الخطوب كنجم السعد والاقبال فتحيين منا ميت الآمال . فما لغياهب الاشجان تكسفُ ضياءك

الربيع — (بحنو) حزن الولد على فراق الوالد يكوي فؤادها

هند — يعلم الله يا سيدي كم يشق عليَّ فراق والدي . لكنني أُعلل النفس باللقاء العاجل . فليس هذا داعيةَ حزني في هذا الصباح

يزيد — يا ولدي انا مقامُ ابيك فلا تكتميني شيئاً

هند — هي الاحزانُ يا عماه تسطو على القلب فتضغط عليه وتستولي على الافكار فتبلبلها ولا يعلم الانسان لذلك من سبب . بل يستسلم الى اليأس ويضيع في وهاد الكآبة

يزيد — ارى عاديا مقبلاً فهو يسليك ويطردُ عنكِ مثل هذه الافكار

الربيع — وهيا بنا نحن الى السموأل نساعدهُ على إعداد الحفلة واستقبال المدعوين (يخرجان)

هند — (وحدها) أو اتشاءمُ بالاحلام..؟ ربي خذْ بيدي وقوِّني على مقاومة هذه الهواجس . ربي احفظْ عاديا وصنهُ من كل مكروه (يدخل عاديا)

المشهد الثالث

(هند . عاديا)

عاديا — انا بطلبك يا هند ... ما لكِ تعتزلين الناس والكلُّ في فرح ومرح والمدعوون يفدون افواجاً وآلات الطرب تعزف فتنفي الاكدار عن القلوب

هند — لا يا عاديا . ان هذه الافراح تثقل على من كان مثلي كليم القلب كسير الفؤاد . لحزنهُ يكدّر صفو الهناء ولا تطيب نفسه الا بالعزلة

عاديا — أوَ أُثقل عليك بحضوري فأتركك واذهب ؟

هند — لا . ابقَ . فان نفسي تتعزى بقربك

عاديا — اجل ابقى . لعلي أُفرج كربتك واقشع عنك غياهب الاحزان ... يعلم الله يا هند لم يخطر لي ببال أني اراكِ على ما انتِ عليه يوم يبتهج الجميع ويبثون الافراح . وانا آتٍ استصحبكِ الى الميدان لننزل معاً الى المضمار فنظفر بقصب السبق . فانتِ على متن الجواد تضاهين اشدَّ الفرسان

هند — عفواً ليست هذه الامور لتليق بمن كان مثلي

عاديا — عجباً . اما قلتِ لي مراراً عند ما كنا نطلق لافكارنا العنان ان أحبَّ شيء اليك ترويض الجياد في الميدان واعتقالُ الرماح لمنازلة الفرسان . وقد طالما تعودتِ ذلك في قبيلتك فجاريتِ ونازلتِ وطاعنتِ . فما أُحيلى سنوحَ هذه الفرصة لاظهار بسالتنا وقد اجتمع الامراء لمجازاة المبرّز في حلبة السباق . فنعلو الادهم ونهزُّ الاسمر ونقاب الابيض . فتشخص الابصار الينا وتحوم القلوب حوالينا ....

هند — اجل يا عاديا على مثل هذا ربيت وبمثل ذلك تطيبُ نفس الفتيان .

فانت محفوف بالكرامة والعز . لا تنظر الا الى وجوه باشة. يُحدق بك الاهل والخلان ويشملك الجميع بالانعطاف والمحبة . اما انا ...

عاديا — اما انتِ فانك تحلين منا محلّ الروح من الجسد . فكل ما لدينا فداؤك وفداء قومك ... لابيكِ على ابي حقوقُ الجار ولكِ عليّ فوق ذلك حقوقٌ ستدركين عن قريب سرها المكنون

هند — (على حدة) ان كلماته ونظراته تحرك كامن عواطفي (لعاديا) لك ولابيك الف شكر

عاديا — بالله دعينا من الشكر ... ألم تهيئي على الاقل انشودتك الحربية فاني اراني ازيدُ تحمساً وبسالة اذاما طرقت اذنيّ الحانكِ الشجية

هند — عذراً يا عاديا . كان ذلك عليّ فرضاً واجباً . لكن الحزن قد غشى القريحة فلم تجد بشيء

عاديا — انك يا هند قد بلبلتِ افكاري وحيرتِ خاطري . ما هذا اليأس؟ بالله عليكِ افتحي لي قلبك وانا الكفيل بتضميد جراحه . فمكاشفة الاحباب بالاسرار تخفف وطأة الاكدار . فبحياتي عليكِ لا تكتميني سراً

هند — لا وحياتك . ما انا بالتي تُخفي عنك شيئاً

عاديا — قولي اذن : ما داعية هذه الكآبة وما علة هذا الحزن ..؟

هند — حلم رائع فاجأني وانا غارقةٌ في بحور الكرى اذوقُ لذة الوسن فضعضع اركاني وبلبل افكاري

عاديا — وما هذا الحلم ..؟

هند — آه يا عاديا رأيتُ كان حمامةً صغيرة طارت من عشها وحلقت في الفضاء فانقضّ عليها عُقاب كاسر وهي تنهزم من وجههِ وهو يتتبعها . حتى لجأت الى وكر نسرٍ وعدوُّها يترقبها فرأى اذ ذاك فرخ النسر

وقد فاتَه طريدته فانشب براثنه فيه ومزّقه شرّ ممزّق . على ان الحمامة لم تُفلت منه ... فانتبهتُ مذعورة من هذا الحلم الهائل واستولى عليّ الرعب من جرّائه

عاديا — (على حدة) هالني هذا الحلمُ كما هال هنداً (لهند) سكني جاشك ايتها الحبيبة . فما هذا الا اوهام واضغاث احلام

هند — فذهب عني كل فرحٍ وهناء ونفرت نفسي من الانشاد والغناء وصارت تحول كل الحاني المطربة الى ندب ورثاء ونغماتي المفرحة الى عويل وبكاء . فاتيتُ الى حضور هذا السباق على الرّغم مني . ولو لم أعد لما فعلت... بل لو سمعتُ وجيبَ قلبي لتوقعتُ حلول خطبٍ جسيم

عاديا — وقانا الله من الشيطان الرجيم . انبذي هذه الافكار وعودي الى السكينة (سكوت) وانا ايضاً يا هند رأيت حلماً ولا ازالُ اراه في كل دقيقة منذ لقيانا : رأيتني كأني واياكِ اليد باليد نسير في مرج اخضر بين هديل الطيور وتغريد العصافير وخريرِ الجداول ... وحفيف الاشجار يردّد صدى الحنين والغرام والنسيم يسارقنا مناجاةَ الهوى والهيام . والطبيعة بأسرها تبسم لنا بثغرها الفتان ... فهل تساعدني يا هند على تحقيق هذا الحلم

هند — ليست المواربة من عادات البنات الكندية يا عاديا فلو لم تطب نفسي بالقرب منك لما رأيتني هنا

عاديا — وانا كنت أخفي عنك ما يكنه الفؤاد ولا ابوح به لئلا تقولي يا هند : اجارنا وهو يطلب جزاءه « وما الكريم اذا اسدى بمنان (١) » ... ولكن أنّى للمياه المتدفقة ان يقف بوجهها سدٌّ . او أنّى للاعصار العاصف على الصحراء ان يصدّ او يردّ . فان الغرام قد اشتدّ سعيرهُ في صدري فاسال

(١) قال امرؤ القيس :

أفسدتَ بالمن ما اوليت من نعمٍ ليس الكريم اذا أسدى بمنانِ

منه الفؤاد وها هو يسكبه الآن على جبينك المنير في تلك القبلة الملتهبة ... (يقبلها)

هند — (بتأثر) عاديا ..! (ينفرط عقدها اثناء المعانقة) آه شؤم على شؤم!..

عاديا — (باسماً وهو يجمع لؤلؤ العقد) انفرط عقدك وانتثر منظومه ...

ولكن قرّي عيناً يا قرة العين فسأنظم لكِ عقداً فريداً اصوغ لآلئهُ من قطرات الفؤاد واغزلُ سلكه من حبال الوصل والهيام وأُقلد به جيدكِ يا جيد الغزال فازيدك جمالاً على جمال . (يكون نظم العقد وحاول اعادته الى عنقها)

هند — وانا أُقسم الاَّ اتحلى بغير عقدٍ صاغته يداك والا يعرفَ قلبي هوى غير هواك (يُسمع صوت المعازف) ابتدأ العيد واخذ المدعوون يفدون

عاديا —

ان كان للناس عيدٌ يفرحون به — يا نور عيني فعيدي يوم لقياكِ
او كان للناس سكرٌ يسكرون به — او يطربون فسكري من ثناياكِ
اما شعرتِ ونار الحب تحرقني — اي السهام رمت في القلب عيناكِ
اما علمتِ باني مدنفٌ ولهٌ — أُفني الليالي وأُحييها بنجواكِ
فما رأيتكِ الا صرتُ منشغفاً — اقول سبحان من بالحسن حلاكِ
واللهِ واللهِ ايماناً محرّجةً — اني وربكِ طول الدهر اهواكِ

هند — دعني الآن أُوافي بناتِ الحي ثم نلتقي هنا ساعةَ السباق

﴿ المشهد الرابع ﴾

(عاديا وحده)

ومن يُجاريني الآن في السباق وانا اطير على اجنحة الشوق والهيام ..؟

ومن ينازلني من الفرسان وانا أطاعن بسهام الحب والغرام ..؟ الا تجمعي يا فرسان

العرب واحتشدي يا ابطال النزال فاين مطاياك من مطية ابن السموأل واين سلاحك من سلاح حبيب ابنة الكندي

تعشق قلبي ظبيةً عربيةً … تنعمُ في الديباج والحلي والحللْ
حجازية العينين مكيةُ الحشا … عراقيةُ الاطراف روميةُ الكفلْ
تهامية الابدانِ عبسيةُ اللمى … خزاعيةُ الاسنانِ دريةُ القبلْ
لها مقلةٌ دعجاء لو نظرت بها … الى عابدٍ قد صام لله وابتهلْ
لاصبحَ مفتوناً معنىً بحبها … كأن لم يصم لله يوماً ولم يصلْ
كأن على اسنانها بعد هجعةٍ … سفرجل او تفاح في القندِ والعسلْ
وعانقتها حتى تقطع عقدُها … وحتى نظام الطوق عن جيدها انفصل
كأنَّ لآلي الطوق لما تناثرت … ضياء مصابيحٍ تطايرن عن شعل(١)

﴿ المشهد الخامس ﴾

(عاديا — يدخل امراء وفرسان وشعراء وبينهم علقمة — ثم الحارث)

عاديا — رحبت الديار بكرام السادات وحفظهم الله من جميع الآفات

احد الامراء — حييت بالمثل يا ابن الامجاد . ها قد وافينا حماكم من احياء مختلفة لنشاطركم الافراح

عاديا — ان ربنا يزدان بحضوركم يا ابطال العرب وعيدنا يزداد بكم بهجة يا سادة الادب

احد الامراء — اكرم بك فتىً طيب الاعراق

---

(١) اصل هذه الابيات والتي تقدمتها من الشعر المنحول الى امرىء القيس . والابيات اللامية من قصيدة له طويلة مطلعها

لمن طللٌ بين الجدّية والجبلْ … محلٌّ قدم العهد طالت به الطول

وهذا مطلع لقصيدتين من قصائد امرىء القيس

الحارث — (داخلاً لاستقبالهم من الجهة المحاذية) أسعد الله اوقات الكرام وشملهم باليمن والسلام اهلاً بكم يا خير قادمين . .. هيوا بنا الى البهو فالقوم بانتظاركم

احدالفرسان — ونحن بانتظار الافراح ومعاقرة كؤوس الراح . هيوا يا كرام

(يخرجون كلهم ما عدا علقمة)

✻ المشهد السادس ✻

(علقمه وحده)

وعلقمة هنا بانتظار سيده الطماح ليداوله بامور ذات شان وهو لا يلبث ان يوافيني الى هذا المكان . فقد سبق واشار اليَّ ان انتظره هنا ... اجل ليست اتعابي لتذهب ادراج الرياح فقد وعدني جزاء خدماتي ان يجزل صلتي ويوليني بعض الاعمال وهناك تمام الطرب وبلوغ الارب . فأُصبح ذا شوكة واقتدار عزيز الكلمة مرهوب الجانب (ناظراً الى الخارج) ها الطماح قد وافى في الأجل المضروب

✻ المشهد السابع ✻

(الطماح . علقمة)

علقمة — اهلاً بسيدي وملاذي

الطماح — لاعدمتك يا ساعدي ومساعدي

علقمة — قد وصل منذ برهة الامراء والفرسان والشعراء

الطماح — فليمرحوا ما شاؤوا فاني لمكدرٌ عليهم صفو هنائهم ..تأكدتُ يا علقمة صدق خدمتك وصحة اخبارك فان السموأل لم يكتفِ باجارة امرىء القيس عدوِّ المنذر وقاتل اخي بل مدَّهُ بالرجال واوصله الى نسيبه

في الشام حتى مهد لهُ محالفة قيصر الروم

علقمة — نعم يا سيدي. فان السموأل قد جاهر بانتصارهِ له وميله اليه

الطماح — وكان كلما طلبنا تسليمهُ يماطلنا بالجواب . وقد مرَّ على ذلك ايام ونحن لم نخطُ خطوة في سبيل امنيتنا

علقمة — وعلامَ عوّل سيدي ايرضى دائماً بالمماطلة ؟

الطماح — لا واللات والعزى . . . ! فلا بدَّ من كشف المستور . ولكنْ اسمع يا علقمة انت تدري ان حياتك بيدي وان نجاحك منوطٌ بنجاحي فهل يمكنني ان اعتمد عليك عند الملمة ؟

علقمة — انت تعرف يا سيدي إخلاصي لك وتفانيَّ في سبيلك بخنجري رهن اشارتك. فمن تُريد ان اطعن ومتى . واين ؟ . . . كلمة واحدة فأقضي بغيتك !

الطماح — اسمع يا علقمة . لسنا بحاجة الى الخناجر فان القتال بالحيلة انفذُ من القتال بظُبي السيوف واسنة الرماح . — أما وقد تأكدت صدق إقدامك ومضاء عزيمتك فسأكشف لك عما صرنا اليه : لا يخفاك أنَّ المنذر علم بنجاة امرىء القيس فاصبح موقفنا حرجاً . . . وكلُّ ما بنيناه كاد يتقوّض. فان المنذر قد سلم الينا الايقاعَ بعدوه : فاما الخيبة والشقاء . واما الفوز والهناء . . . وها ان الحائل دون الوصول الى بغيتنا هو السموأل بن عاديا

علقمة — وما العمل اذاً وما الحيلة ؟

الطماح — قد تأكدت شديد حاجتنا الى الاقدام في هذا الامر حفظاً لمقامنا وتوطيداً لدعائم ثروتنا والا دكَّ صرح مجدي وغار نجمُ سعدي

علقمة — وبذلك تخيب آمالي وتضمحل سعادتي فما نصيبي من الدنيا غير نصيبك

الطماح — وهذا ما يضمن لي أمانتك في خدمتي . — قلت لك ان الحائل الوحيد الذي حال بيني وبين بلوغ الوطر كان السموأل باجارته عدوّنا . واعلم الآن أن الذريعة الوحيدة لنيل المنى هو ايضاً السموأل

علقمة — وكيف ذلك ؟

الطماح — لا يخفاك ان امرأ القيس قد استودع السموأل ماله وسلاحه وولده ، فاذا حصلنا على ذلك فقد حصلنا على كل شيء .

علقمة — لم افهم بعد ...

الطماح — قليلاً وينكشف لك المقصود .. انت تعلم اهمية هذه الدروع والاسلحة فمتى صارت بحوزتنا نقوى بها على امرىء القيس والتنكيل به . وإن ظل الدهر على معاكستنا ولا إخاله — يكون لنا بالولد احسن ذريعة للايقاع بالوالد وهكذا نكون اصلحنا ما افسد السموأل

علقمة — قد فهمت الآن ولعمر الحق اني أقر لك بالدهاء والمهارة في محاربة الزمان

الطماح — سوف ترى بعد من عزيمتي ما يقوّض اركان الرواسي ... وقد اطلعت المنذر على خطتي هذه فوعدني خيراً جزيلاً ان نجحت

علقمة — ولكن كيف السبيل الى امتلاك الاسلحة واعتقال الولد ؟

الطماح — لذلك قد اتيت الى هذا السباق لا طلباً للفرجة وطمعاً بالافراح فاواجه السموأل واعلمه بغضب المنذر وابسط له جلياً عزم ابن ماء السماء على التنكيل به ان لم يسلم الوديعة ولا إخال السموأل الحكيم يعاند ملكاً رفيع الشان

علقمة — وإن ابى السموأل تسليم الوديعة كما أبى تسليم الرجل

الطماح — ان أبى ... انا اجدحيلةً ترميه على قدميّ صاغراً ... او يظن

السموأل أنه يهدم هكذا آمالي عبثاً ويقوض ما بنيته في السنين الطوال وادعه يفعل... لقد طفحت كاس اصطباري واحتمالي .. فان كان هذا ظنه فلقد غرّه الظن ... ان ابى فكر شيطاني يخالج صدري — ... يكون هذا السباق عليه وعلى ابنه عاديا وبالاً ويجر عليهما ذيول الويلات ... فترى حينئذ ما سوف يفعل ...

علقمة — كلامك ألغاز عليّ ياسيدي ومعناه لايزال مغمضاً

الطماح — لا يلزم الآن ان تفهم اكثر من ذلك فمن قريب يظهر لك كل شيء.... اذهب الآن الى مجتمع الامراء والفرسان واختلط بهم ... كن حذراً حرصاً يا علقمة كلك آذان تسمع واعين تبصر ووافني بكل خير يهمنا . راقب كل حركاتي وسكناتي عند السباق وافهم كل اشارة تبدو مني فانا نحارب القوم بالحيلة ونقاتلهم بالمكيدة نصارعهم باللين ونخاتلهم بالرفق

علقمة — فليطمئن سيدي فانه يجد مني ان شاء الله عقلاً ثاقباً ... وخنجراً صائباً — (يخرج)

المشهد الثامن

(الطماح وحده)

اجل لئن ابى لاقلبن افراحهم ترحاً وصفاءهم كدراً ولاجعلن عيدهم مأتماً وسباقهم نواحاً وعويلا

اجل فكر فظيع يدور في خلدي ... يوسوس لي الشيطان ان انتقم لنفسي هكذا : يريد السموأل ان يحول دون تتميم مقاصدي فلاسحقن قلبه سحقاً فيدري اي فارس يجاري في ميدان الدسائس والاهوال. ويعلم ان من تصدى للنمر ينازعه فريسته قد يقع هو في مخالبه فيمزق شرّ ممزّق .. نعم انه لفكر هائل ولكن وحق الذي الهمنيه سأبرزه الى حيز العمل اذا اصرّ السموأل على عناده ... فاي الكبائر لا اقدم

علبها في سبيل غايتي ... واذا كان السموأل يبني الوفاء بحقوق الجار فلست بالذي ينقض حق الثار .... وليس دم اخي ليطل وفي عروق الطماح نقطة دم ... اما وداعية الثأر تدفعني الى الامام فانا اسير كالسيل الجارف مجتاحاً كلّ ما يقف بوجهي

سموألُ إن رمتَ العداء فانني ... سأسقيكها كاساً من السم تنقع...
اقود الى الاعداء خيلي جوعاً ... فتأكلُ من لحم العداة وتشبعُ
اذا لم اطأ تيما واحلافها معاً ... فتصبح من سكانها وهي بلقعُ
فلا قدتُ من اقصى البلاد طلائعاً ... ولا كنتُ مغبوطاً وعيشي موسعُ

ها إن السموأل مقبل يرفل في ثياب العز والمجد فلاصبغنها بالسواد اذا رأيت فيه معرقلاً لمساعيّ

✻ المشهد التاسع ✻

(السموأل والطماح)

السموأل — علمت بمجيئك ايها الامير الكريم فاسرعتُ اليك

الطماح — ابى الله ان ادع اعيادكم تمر فلا اشاطركم الافراح

السموأل — ادام الله عزكم فما لنا من ريب في اخلاصكم

الطماح — يلذ لي ان اختلي بك بعيداً عن الاسماع والانظار فأعطيك برهانا جديداً على اخلاصي واكاشفك بامر ذي بال

السموأل — وما يكون الامر ؟

الطماح — امر اوشك ان يجرّ عليك الويلات ويكادُ الآن يوقعك بالتهلكة ان لم تتلافه

السموأل — ما عهدي اني فعلت قط غيرَ ما يرضاه الشرف

الطماح — انت تعلم بغض المنذر لامرىء القيس وتعرف كم هو يضمر له

من الشحناء والضغينة . فهو ناقم عليه وعلى كل اشياعه وانصاره

السموأل — المنذر وشأنه يُنزل سخطه ويسكبُ نعمه على من يشاء فلست بالمضطر الى مشاركته في عواطفه

الطماح — بيد انك ايها الامير تشاطره البغض لامرىء القيس عدوّك وهاجيك

السموأل — كان عدوي وهو الآن جاري

الطماح — ولكن لا يذهبن عن بالك انك واطأت المنذر على الايقاع بابن حجر وحالفته على ذلك

السموأل — اجل حالفته ووعدته النصرة على الكندي . لكني لم اعده قط المساعدة على جاري . . . واطأته على الايقاع بامير عظيم طغى وتجبر ولم أواطئه قط على رجل شريد اعطيته عهدي وميثاقي

الطماح — لا تغرُّ الملوك بمثل هذا الكلام ولا ترضى بمثل هذا التنصل . . . والاك المنذر وحالفك فلم تقم بشروط المحالفة . فلا تدع حرمة الجار تنسيك ما كنت تتوقع من فيض نعم ملك العراق

السموأل — انا لست بمن يضحي شرفه في سبيل موالاة الامراء ومحالفة العظماء فارتدي ثوب المواربة واتسربل بسربال الدناءة

اذا المرء لم يدنس من اللؤم عرضه فكل رداء يرتديه جميلُ
وان هو لم يحمل على النفس ضيمها فليس الى حسن الثناء سبيلُ

واعلم يا طماح اني اضحي موالاةَ المنذر وكلَّ مصالحي على مذبح الوفاء وبالها ضحيةً تطيب بها نفسي

الطماح — لو كنت بعملك هذا خسرت موالاة المنذر فقط لاستصوبت صنيعك واثنيت على كريم مهزتك ولكنك ايها الامير قد تعرضت لسخطه وغضبه

السموأل — لا نعبأ بغضبه ولا نكترث لسخطه والشهامة راضية عنا

الطماح — ولكن لا تعاند من اذا قال فعل ... فابن ماء السماء سيد عظيم الشان دانتَ لسطوته القبائل وائتمرت بامره الاحياء فاصبح في الجزيرة يرفع من يشاء ويضع من يشاء ... فاذا اقام عليك الحجة بنقض العهد وزحف عليك بكتائبه الجرارة هل تقف رجالك الاقلاء في وجهه ؟

السموأل — كأنَّ المنذر لا همَّ له الا بكثرة العدَد

يعيرنا انا قليل عديدنا الا قل لهُ ان الكرام قليلُ

وما ضرنا انا قليلٌ وجارنا عزيز وجار الاكثرين ذليلُ

واعلم ان لنا في مناعة حصننا هذا ما يردُّ عنا كيد الطامعين ويدرأ هجمات المهاجين :

هو الابلقُ الفردُ الذي طار صيته يعزُّ على من رامهُ ويطولُ

رسا اصلهُ تحت الثرى وسما به الى النجم فرعٌ لا يُنالُ طويلُ

على جبلٍ يحتلهُ من نجيرُه منيعٌ يردُّ الطرفَ وهو كليلُ

ولقد كان ذكرُ غير هذا اولى اذ انت في حمانا ولكنك قلتَ فاجبتُ

الطماح — لندع الماضي فقد فات ما فات . . فانا وجدت وسيلة تصلح شؤونك والمنذر وتعيد المياه الى مجاريها

السموأل — هاتِ

الطماح — سلم الادرع والاسلحة فنقوى بها على جحافل الروم وردها على الاعقاب وهكذا تكفر عن الماضي وتكتسب رضى المنذر ... الا تحير جوابا ؟

السموأل — وبمَ أجيب .. اسلم وديعة جاري واخون عهدي وانت تنصح لي بذلك

الطماح — نعم فليس من وسيلة غيرها تمكنك من السلامة وتدفع عنك المكروه

السموأل — بئست الوسيلة اذا كانت تقضي بالنفاق والخيانة ولسنا أناساً يرهبون المنايا او يحسبون للاعداء حساباً

وايامنا مشهورةٌ في عدونا   لها غررٌ معلومةٌ وحجولُ
واسيافنا في كل شرقٍ ومغربٍ   بها من قراع الدارعين فلولُ
معودةٌ ان لا تُسلَّ نصالها   فتغمدَ حتى يستباحَ قبيلُ
وننكر ان شئنا على الناس قولهم   ولا ينكرون القولَ حين نقولُ
فسلْ ان جهلت الناس عنا وعنهم   فليس سواءً عالمٌ وجهولُ

الطماح — اسمع صوت مخلص لك ايها الامير ولا تستسلم الى العناد والخيلاء فتجر على نفسك الويلات وتمطر على رأسك وابل الشقاء

السموأل — كفى يا طماح فان نفسي لا تطيق مثل هذا الكلام

الطماح — تبصر ايها الامير في مغبة هذا العناد وتروَّ في امرك

السموأل — قد تبصرت في كل شيء : فلا غضب المنذر يثنيني عن عزمي ولا قوات الارض تحملني على الغدر بالجار

انما جاري لعمري   فاعلمن ادنى عيالي
وارى للجار حقاً   كيميني من شمالي
انما حرمة جاري   في جواري وظلالي
ان للجار علينا   دفع ضيم بالعوالي
فاقل اللوم مهلاً   دون عرض الجار مالي
ساودي حق جاري   وبدي رهن مقالي
او ارى الموت فيبقى   حقه عند رجالي

الطماح — وهل سمعت قط بان حرمة الجار بلغت هذا الحدّ

السموأل — وهل سمعت قط ان عدواً بلغت عظمته وشهامته حدَّ ما بلغ عدوي او ان حصناً كان من المناعة على الجانب الذي عليه الابلق هذا..؟ فلا تعجب اذن اذا بلغ وفاء صاحبه ما لم يسمع قط ان وفاء عرب او عجم بلغه

الطماح — (على حدة) سنرى ما اذا كنت تثبت امام مكائدي ... اعذر ايها الامير حدة لهجتي في خطابك وتأكد ان غايتي الوحيدة هي ما فيه نفعك

السموأل — لا ريب لي في ذلك ـ ها إن الضيوف مقبلون فلندع هذا الحديث

(يتقدم ليقابل الداخلين)

الطماح — (على حدة) لا بدَّ اذاً من تتميم ما عزمت عليه فخذ بيدي يا رب الكعبة (يدخل الجميع)

المشهد العاشر

السموأل وولداه . والحارث وزيد وهندٌ . الطماح وعلقمة وشيبوب والمنادي والامراء والفرسان الخ ...

السموأل — دمتم بالعزّ يا سادة وبلغكم الله منتهى الهناء والسعادة

احد الفرسان — وبلغكم المثل يا كريم الاصل

السموأل — في كل عام يزدان حمانا بحضوركم يا فرسان العرب ونخبة آل الادب فتزداد بكم اعيادنا سروراً وبهاء . وتكلل سوقنا الحولية بنظم درر اقوالكم بهجة وسناء . اما الآن فقد تم القسم الاول من العيد فسمعنا من الخطباء قولاً يزري بالسحر الحلال ورأينا الشعراء ينظمون في سلك اقوالهم الدرر الغوال حتى خلناهم يذيبون الشعر والشعر يذيبهم ويدعون القول والسحر يجيبهم وما بقي علينا

الا حضور سباق الخيل فنشهد الفرسان تطلق لخيلها العنان في المضمار فيظهر لنا فضل الباسل على الجبان . اما وقد اجتمعت الخيل للنصرة من كل صوب في هذه الحلبة فيحق لنائل قصبات السبق ان يفاخر الاقران ويباهي الابطال والفرسان

الطماح — ان جود صاحب الابلق الهمام اصبح حديثاً جرى مع الركبان فضرب المثل في القبائل بكرمه وسخائه وانتشر في كل الاحياء ذكر ابائه ووفائه وقد نهض يجمع في كل عام حول ابلقه ارباب الشعر وفرسان الطعان ويجمل للسابق خير العطايا حثاً للناس على العلم والادب وتنشيطاً لفرسان العرب فلا زال تاجاً على مفرق الدهر ودرة يتحلى بها جيد هذا العصر

يزيد — (على حدة) يا لك من مملق مخادع

السموأل — ثم تعلمون ايها الامراء العظام والابطال الكرام ان ولدنا عاديا بعد ان تروض على الجول في الميدان وتمرن على منازلة الفرسان يبرز في هذا النهار لاول مرة الى مضمار السباق . - (لعاديا) وقد اعددت لك يا ولدي مطية فرسي ذا العقال وهو فرسٌ لا يُسار في مضماره. ولا يطمع جواد في شق غباره قد البسه الليل برده. فرأينا بين عينيه سعده. ان جرى فبرق خفق. وان اسرج فهلال على شفق. فكن انت ثبت الجنان صادق العزيمة والله يوليك الفوز والنصر

الحارث — لا تنس يا عاديا وصيتي لك : اطلق لفرسك العنان شيئاً فشيئاً انتهره بالصوت وازّهُ بالمهماز ولا تضربه بالسوط الا عند الحاجة ولي الامل انك ستنال قصب السبق

السموأل — والآن فليبرز المنادي وليعلن افتتاح السباق

المنادي — يامعاشر الفرسان من عدنان وابطال فزارة وغطفان وسادة أسد وذبيان وكل من حضر هذا المكان تحية وسلاماً . سيبتدىء الساعة سباق الخيل وفي المضمار تعرف السوابق وقد وضعت الجياد على

المقوس (١) وجعل الرهان عند الغاية على رؤوس قصب الرماح فالسابق له الجائزة والاكرام . واللطيم (٢) كفاه ما يلحق به من العار . فاحلفوا بذمة العربان وشرف الفرسان انكم لاتخونون بشروط الرهان

الفرسان : وذمة العربان وشرف الفرسان لانخون بشروط الرهان

الطماح — (على حدة) وانا قداقسمت بمن بسط الغبراء انني سانتقم شرانتقام

المنادي — فامتطوا صهوات خيولكم واطلقوا لها العنان في مجال الميدان

يزيد — ليس وراء هذا السباق الا خراب الديار وقلع الآثار

(عاديا يقبل يد ابيه)

الطماح — (في غضون ذلك يقول لعلقمة) اسرع الى وراء الاكمة وكن بانتظاري

علقمة — امر مولاي مطاع

عاديا — (وهو خارج لهند) ادعي لي بالنصر والتوفيق ياهند

هند اعادك الله الينا سالماً ياعاديا (على حدة) آه ! هذا الحلم

(يخرج عاديا والطماح وعلقمة والفرسان الخ)

المشهد الحادي عشر

(الاشخاص ذاتهم ما عدا عاديا والطماح وعلقمة والفرسان)

الحارث — ها قد امتطى الفرسان صهوة خيولهم وتأهب كل للسباق

شريح — أطلقت الخيل في الميدان . ما أجمل اخي بين الفرسان ممتطياً متن اشهب ينهب الارض عدواً

---

(١) حبل تصفُّ عليه الخيلُ عند السباق

(٢) هذه اسماء الخيل في السباق : اولها المجلي ثم المصلي والمسلي والعاطف والمرتاح والحظي والمؤمل . وهذه السبعة لها حظوظ ثم التي لا حظوظ لها هي اللطيم والوغد والسكيت

الربيع — الرهج يسطع من سنابك الخيل

هند — ما أثبت الفارس وما اجود الفرس. ان الشرر يتطاير من اقتداح النعال فهو

مكرٌّ مفرٌّ مقبلٌ مدبرٌ معاً   كجلمود صخرٍ حطهُ السيلُ من علِ

يزيد — ما للطماح لا يلوي عنانه عن متابعته فهو يستقري الصفوف ولا يزال يتتبعه

الحارث — عافاك الله يا عاديا. قد تقدم الجميع ... فلا من يرجو لحاقه

يزيد — بلى. هو الطماح وفارس آخر مقنع قد قارباه

شريح — قاتل الله الطماح اويسبق اخي فيحرمه جائزة الرهان

السموأل — وهل يرجو اللحاق بفرسي ذي العقال وهو من اكرم الافراس

كأن غلامي اذ علا حالَ متنهِ   على ظهر بازٍ في السماء محلقُ

الربيع — ما أثبت جنان عاديا واشدّ عزيمته كأني به ينازل الفرسان من اعوام طوال

يزيد — ولكن ما له يبتعد عن الغاية؟ .. اشرد به الجواد؟ .. هو الطماح ورفيقه لا يزالان اتبع له من ظله

السموأل — ما عهدي بالجواد شروداً

يزيد — تواروا وراء الأكمة واحتجبوا عن العيان

شريح — وقاك الله يا اخي من كل طارئة!

هند — جعلت فداك يا عاديا!

السموأل — (لبعض رجاله) أسرعوا وعودوا الينا بالخبر الأكيد (يخرج شبوب (مع بعض الرجال) آه اني على مقالي النار. اويصيب ولدي مكروه؟

شريح — ربي كن عون اخي وارعه بعين عنايتك يارحيم!

هند — (على حدة) اليك عني ايها الحلم المشوم. إن قلبي زائد بالخفقان

السموأل — لكن وجود الطماح بالقرب من عاديا يسكن روعي فسيكون له ترساً يدفع عنه كل ضيم

يزيد — بل يكون ان صدقت ظنوني داعية الدمار والويل فان وجوده بين الفرسان مع هذا الفارس المقنع يزيدني قلقاً على قلق فلا مأمن للنعجة بصحبة الذئب

السموأل — (لا يزال ناظراً الى الخارج) لم يظهر بعد من وراء الأكمة

الحارث — أرى فرساً يعدو نحونا ولا يعلوه فارس... احاطت به رجالنا

السموأل — هذا فرسي ذو العقال. وولدي؟.. آه ما اصعب الانتظار

شريح — فدتك نفسي ياعاديا... لحاك الله يافرس الشؤم ماذا فعلت بفارسك

الربيع — عسى ان يكون واقع الحال على خلاف ما نتوهم (يعود شيبوب)

❋ المشهد الثاني عشر ❋

(الاشخاص ذاتهم. شيبوب)

السموأل — أسرع ما وراءك؟

شيبوب — ما ابتعدنا قليلاً حتى رأينا الجواد عائداً فاسرعنا اليه فلم نرَ عليه اثر دم لكنا وجدنا على الرحل هذه الكتابة فحملتها مسرعاً

السموأل — (يفضها ويقرأ) «ياصاحب الابلق ظننت نفسك في حصنك امنع من العقاب في طبقات الجو ولم تنتبه للعدو الواقف لك بالمرصاد فولدك بقبضة يدي ولا يرد اليك حتى تسلم وديعة امرىء القيس. هذا والا فلا ترى ابنك الا جثة باردة. والسلام»! «التوقيع: الطماح»

(سكوت) يا لك من نذل خائن .. اتيتني من باب الحيل والمخادعة فاوقعتني في حبائلك الشيطانية .. اردت ان تمرد وتبادر الى اعلان العداوة حين أجرتُ الكندي فرأيت الظروف تحول دون مبتغاك فاكنت الضغينة واظهرت السكينة وكنت كالعقرب تحت الزهرة ولكن سنسحقك سحقاً يا عقرب الشر والفساد .. اوقعت بولدي وظننت ان بذلك تحقيق امانيك ولم تدرِ ان دون ذلك تجريع الغصص واحتمال الويلات .. اويخطر لك ببال ان تكاشف بالعداوة صاحب الابلق المنيع يا طماح .. ام تطمح بابصارك الى مقامي فترغب في معاندتي .. فقسماً بمن وطد راسيات الجبال سأقصدك بخيلي ورَجلي ولئن سقطت شعرة من رأس عاديا لاطلبنَّ فيها دمك

الحارث — ليس الطماح ليقوى على معاداتك لولا امله بمساعدة المنذر . ولست اخاله فعل شيئاً بغير ايعاز من ابن ماء السماء فهو عدو امرىء القيس ويود استئصال ذريته . وما هو إلاّ يستخدم بغض الطماح لبلوغ اربه وتحقيق امنيته

السموأل — اويثنيني المنذر هذا عن اعزازي الجار ام يخالني اخاف تهديده واخشى وعيده حتى اخفر ذمة ضيفي فوحق المروءة والشرف لا اتخلى عن جاري ولو تألبت عليَّ قوات الارض والجحيم .. أوَيجهل الطماح من انا

والخيل تعلم يوم الروع ان هزمت ان السموأل في الهيجا لحاميها
لا يختشي الجار منا غدرة ابداً وان المت امورٌ نحن نكفيها

اما الآن فليس بوسعنا ان نهجم على الاعداء فان معظم رجالنا متغيبون عن الحمى مع امرىء القيس . ولا ارى الا المماطلة حتى تعود فرساننا مع ابن حجر وانا اطلب ولدي مباشرة من المنذر . فما رأيكم .. ؟

الحارث — قلت لك لا تعلق على المنذر املاً فما هذه الدسيسة الا بامره ورضاه . اما ما ذكرت من امر المماطلة فذلك تورط ما وراءه جدوى

السموأل — ان من تسلح بسلاح الحق ومشى تحت راية الشرف لا يعبأ بالاعداء قلوا او كثروا فإن الله يجعل بيمينه قوة تقاوم اشد الابطال . فان انتصرت على معاندي يكون انتصاري انتصار العدل والوفاء وانخذال البطل والبهتان . وان قدَّر الله الظفر لاعدائي فاني اناجزهم حتى آخر رمق واموت ملتحفاً بالمجد ويا ما احلى الموت في سبيل الوفاء

يزيد — ايها الامير الهمام لو كان ابن عمي امرؤ القيس هنا لصدَّك عن عملك هذا ولقال لك ان كل ادرع الدنيا لا تساوي شعرة تسقط من رأسك او رأس قومك ولسنا نرضى ان نعرضك للمحن ونكون عليك مجلبة الخراب والهلاك فاذعن لطلب عدوك ونجِّ ولدك

هند — اجل يا صاحب الابلق ليست وديعتنا بشيء اذا ما قوبلت بما نحملك من الاتعاب. سلِّم الدروع وسلمنا جميعاً ولا تدع عاديا يصاب بادنى اذى

السموأل — لا يا ولدي ليست حياتي وحياة كل من يعزُّ علي بشيء في سبيل الجار والبقاء على الوفاء

هند — إني استحلفك ثانية باسم والدي وبحق حبك لولدك ان ترجع عن عزمك

السموأل — ما بذا استعطاف

هند — ايها الامير ليس الموقف موقف شكر واطراء فنبدي لك عظيم شكرنا ... ان الدروع دروعنا والطماح عدونا لا عدوك فدعنا نفعل ونخلص ولدك . اليس لنا حق التصرف بها ؟

السموأل — لا يا ولدي ـ دفعها اليّ امرؤ القيس وحلفت الا اسلمها الى غيره (لقومه) قد طال بنا الوقوف والخوض في مجال القول فقد عقدت النية على العمل بما تقتضيه النخوة العربيـة فاجمعوا ما تبقى لنا من الرجال وادخلوا الحصن وكونوا على اهبة القتال . فما يهمنا عددهم ولنا قلوب لا تهاب الموت فاشحذوا بيض الصفاح واجلوا الاسنة والرماح فيجدَ العدو فينا ليوثاً لا تروّع وقلوباً لا تُزعزع ... يطمح نظر المنذر الى وديعـة جاري فليأتِ يأخذها من بين مخالبنا

اذا ظلمت حكامنا وولاتنا   صرمناهم بالمرهفات الصوارمِ

﴿ المشهد الثالث عشر ﴾

(يزيد . هند)

هند — لا بدّ من ايجاد حيلة واستنباط وسيلة لنجاة منقذنا

يزيد — وعلى ذلك عوّلت يا ولدي فانا اخرج الآن من الحصن وافرّ على جوادي طالباً ابن عمي فالتقي به في الطريق واطير على جناح السرعة لانقاذ من حمى عرضنا ووديعتنا

هند — نعما يا عماه اذهب وعد برجالنا قبل فوات الحين

يزيد — استودعك الله يا هند

هند — رافقتك السلامة يا عماه

﴿ المشهد الرابع عشر ﴾

(هند)

وانتِ يا هند ابكي حظك واندبي سوء طالعك فما نصيبك من الدنيا الا النكد والشقاء ما كدت اسعدُ بأبي حتى شقيت بمحبوبي ... آه كيف لم اسمع وجيب قلبي

واصدق حلمي فامنع عاديا عن هذا السباق (الى الخارج) سر يا عماه واستقدم رجالنا فنخلص عاديا من هذه الذئاب

قل لابطال الوغى هيا بنا — فاجيبوا قد دعا داعي الوغى
واعقدوا الرايات يا أبطالنا — واشهروا البيض وسيروا في الضحى
يا بني كندة طيروا وانصروا — من كفى اعراضكم شرّ الخنا
كذب الطماح لا يقتله — وامرؤ القيس ابي حامي الحمى
سوف ينقضُّ عليهم هاجماً — دافعاً عن عاديا شر الردى
يا عدانا خسرت صفقتكم — اي وربي قد خسرتم يا عدا
سوف ابني القومَ في عسكرهم — أنشد الاشعار فيهم والغنا
ولئن سرتُ اليهم فانا — ابذل الروح لمن اهوى فدى

الفصل الثالث

(الاسر)

﴿ مضرب في معسكر الطماح ﴾

﴿ المشهد الاول ﴾

(عاديا وحده)

ها قد غدوت اسيراً في مضاربهم — الناس حولي وما في الناس من سند
ابيت وحدي ودمع العين يخنقني — والحزن اشبه بالنيران في كبدي
نزلتِ ابني سباق القوم ممتطياً — متن الجواد تهزُّ السمهري يدي
فجلتُ في حلبة الميدان مندفقاً — اسابق الريح ارجو الفخر للأبد
رنا اليَّ ابي والناسُ تحدقُ بي — ولاحَ مني التفاتُ الشبل للاسد
وكدت أُحرزُ تاج الفوز مبتهجاً — واكسبُ المجدَ في قومي وفي بلدي
فانقضَّ وغدٌ ذميمٌ تلني ومضى — فاعجزَ القومَ هذا الوغدُ عن مددي
فصرتُ منفصلاً عمن أُحبهمُ — وليس شغلي غير الهم والكمدِ

﴿ المشهد الثاني ﴾

(عاديا . علقمة)

علقمة — قضيت يا مولاي يومك في مضربك وانت في كآبة

عاديا — (بانفة) ومن انبأك اني كئيب ؟

علقمة — لا ادري ... هذا ما توهمته .. الا يريد سيدي ان يخرج ليروّح النفس ؟ ..

عاديا — (يهم بالخروج ثم يلتفت قائلاً بتهكم) بربكم الا تخشون ان افر ...

علقمة — لا .. فالمرء لا يفرّ الا من المكروه والامير هنا في اتم نعيم (بمعنى) وزدْ ان رجالنا كلهم اعين ساهرة عليك

عاديا — انا اشكر لهم هذه العناية (وهو خارج) هيا نحمّل النسيم سلاماً ينقله الى الاحباب

المشهد الثالث

(علقمة وحده)

عجيب الطماح في اعماله ولله هو ما اشد دهاءه فقد انتشلنا عاديا اثناء السباق ولستُ اشك ان في الامر لنفعاً لنا

المشهد الرابع

(الطماح ، علقمة)

الطماح — ان الدهرَ يفترّ لنا عن ثغر باسم والايام تواطئنا على نيل المرام. ارأيت كيف ان حيلتي قد تمت فاصبح الولد في قبضة يدي يمكنني من الوصول الى اربي

علقمة — فما سوف تصنع وقد وقع الولد في شركنا

الطماح — سيّ بلا عدة قوس بلا وتر . فان الولد يا علقمة يكون لنا خير عدة

لادراك المطلوب . فسأهدد السموأل بقتل ولده ان لم يسلم اليَّ الوديعة ولا اخاله الا يجيب سؤلي ويذعنُ صاغراً في سبيل نجاة ولده

علقمة — لله درك من مدبّر حكيم عنده لكل امر تدبير

الطماح — وقد اوفدت رسولاً الى قيصر الروم اقول ان امرأ القيس غويٌّ فاجر وقد فعل وصنع فاستحلَّ المنكرات واستباح المحرمات فيستكبر الرومي الامر ويعمل على الايقاع بحليفه (١) اما الآن فاذهب واحضر الاسير ثم وافني الى مضربي لاعلمك بما يبقى علينا ان نفعل

علقمة — انا ممتثل امر مولاي

❋ المشهد الخامس ❋

(الطماح)

تهلل الآن يا قلبي وافرحي يا نفسي وابتهجي فالفوز قد كاد يكلل مساعيَّ وعن قريب يقع عدوي في يدي ويتسنى لي الانتقام من قاتل اخي وانال لدى المنذر حظوة ورفعة ...

ما احلى الانتقام وما الذّ على القلب ادراك الثار بل ما ابهج الرفعة وما اشهى الى النفس تسنم المراتب والمناصب ..

اقول لنفسي حقق الظن انني ... اذا قلت يوماً حقق الفعل اقوالي
ايا نفس طيبي ان ظنك لم يخب ... فعما قريب ادرك الوطر العالي
ولو انني اسعى لادنى معيشة ... كفاني بلا سعي قليل من المال
ولكنما اسعى لمجدٍ مؤثل ... بلى يدرك المجد المؤثل امثالي

ها الاسير وافٍ فلنعد الى السكينة (علقمة يدخل عاديا ويذهب)

---

(١) الاغاني ج ٨ ص ٧١

﴿ المشهد السادس ﴾

(عاديا . الطماح)

الطماح — السلام على الامير الفتى

عاديا — اويأتي عدوي يزورني في سجني ويشمت في بلائي ؟ ... لعمري ليس هذا من شيم الكرام

الطماح — (متظاهراً بالدهشة) انني استغرب هذا الكلام يا ابن الاطايب فانه لا يليق بمن كان مثلي صادق النية صافي الطوية . فقد رأيتكم على شفير الهلاك فاحببت ان امدَّ اليكم يد المساعدة فانتشلكم من الهاوية .. واذا كان ظاهر عملي يدع مجالاً للريب والظنون فسوف تنكشف لكم الرَّغوة عن الصريح فتتأكدوا صدق نيتي وصفاء سريرتي

عاديا — وما تكون التهلكة التي تتهددنا ونحن في حصننا المنيع بمأمن من الدواهي والخطوب

الطماح — ان اباك قد عرَّض نفسه لغضب ملك العراق باجارته احد اعدائه

عاديا — (بحمية) نعم اجرناه ونبذل في سبيله كل غال ونفيس

الطماح — اترك الحدة يا فتى واسمع .. قد جاء المنذر يطلب من صاحب الابلق وديعة عدوه فعلى ابيك ان يجيب سؤله ويترك للبازي فريسته فيكسب رضاه وينال مجداً وشاناً

عاديا — بئس المجد ولا حبذا الشان المكتسب بالخيانة وتدنيس العرض

الطماح — ما في الامر من خيانة يا ابن الكرام

عاديا — كيف لا .. وتدعي بعد هذا الصدق والاخلاص ؟ ... اتريد يا طماح ان نُوصم بوصمة العار ويُصبح اسمنا سُبة في افواه الناس

الطماح — لا وحقي لا ارضى لكم بذلك بل ينظر الناس اليكم دائماً نظرهم الى اكرم العرب واوفاهم

عاديا — اذاً لم افهم معنى كلامك .. اما اشرت صريحاً بوجوب تسليم الوديعة ؟

الطماح — نعم أشرت .. (على حدة) وعن قريب آمر

عاديا — واي شرف اذاً لمن يسلم وديعة جاره

الطماح — وعلى ذلك اعملت الحيلة بتوفيق النقيضين

عاديا — لله ما اطول باعك في استنباط الحيل اما انا فلا ارى باباً للتنصل

الطماح — انك حديث السن يا عاديا ولا خبرة لك في تدبير الامور وسياسة الناس

عاديا — لا حبذا سياسة تقوم بالمواربة والتخفي

الطماح — (على حدة) كاد صبري يضيق ـ (لعاديا) انتشلتك من حصن ابيك فاوهم الناس اني اريد قتلك ـ وانت عندي اعز من ولدي ـ ان لم يسلم ابوك الادرع. وليس في العرب ولا العجم من يفضل المال على الروح فيعذره الجميع لانه سلم الوديعة لانقاذ نفس من الهلاك فيكون صان عرضه وشرفه ونال لدى المنذر حظوة بتسليم الادرع

عاديا — (على حدة) اوهكذا نعرّض هنداً للعار .. (للطماح) وهل فاوضتَ ابي بهذا الشان

الطماح — ارسلت اليه من ينذره علناً بقتل ولده ان لم يلبِّ طلب المنذر

عاديا — وبمَ اجاب ؟ ..

الطماح — اجاب انه يصعب عليه تسليم الوديعة لكنه يرضخ مضطراً لحياة ابنه ابدى من وديعة الجار

عاديا — كذبت يا رجل فليس هذا بجواب من يجري في عروقه من دمنا الكريم وليس ابي يفوه بمثل هذا الكلام المحط ولو ذاق العذاب الوانا فشهامته تحمله على تضحية كل عزيز في سبيل الوفاء

الطماح — (على حدة) لقد طاش هذا السهم ولكن لم يزل في الجعبة سهام (لعاديا) اكرم بك من شهم كريم فما قلت لك ذلك الا لاعجم عودك واقف على جلية افكارك فأحسن بها من افكار كريمة شريفة ... اما رسول ابيك فانه بالحقيقة لم يأتِ . ونحن الآن بانتظاره وقد اعطيت الاوامر حتى يؤتى به الينا حين مجيئه

عاديا — لم اكن قط لاشك بمروءة والدي وليس هو ينطق بما قلت

الطماح — واذا افترضنا اني جعلت تهديدي حقيقة وابرزت قولي الى حيز العمل فاردت قتلك - ذلك دائماً من قبيل الافتراض - افلا يسلم حينئذٍ ابوك الوديعة

عاديا — لا واللهِ ..!

الطماح — وانت الا تسأله ذلك خوفاً عليك من الموت وشفقة على زهرة شبابك من الذبول في ربيع الحياة؟

عاديا — لا لعمري . بل اثبته في عزمه وانا اموت سعيداً في سبيل الجار ولا اتزعزع

الطماح — (على حدة) سنرى ذلك اذا ما سيق الى ساحة العذاب

(يدخل علقمة)

علقمة — (الى الطماح) على مدخل المعسكر رسول يطلب مواجهتك

الطماح — فليدخل (يخرج علقمة) (لعاديا) هذا رسول أبيك يا عاديا

عاديا — ربي كن عون أبي ولا تدعه ينقاد لمسالمة الاشرار . . هب رسوله حكمتك فلا ينطق الا بما يقتضيه الشرف

الطماح — ترى ما عساه ان يحمل الينا . . . تذللت طويلاً فان لم يلبِّ طلبي . . . . . .

(يدخل شيبوب)

✻ المشهد السابع ✻

(الطماح ـ عاديا في مؤخر الخيمة ـ شيبوب)

شيبوب — على الكرام سلام . أتيتك حاملا جواب سيدي السموال وهو يقول لك : ردّ الآن الولد ثم يرى في شأن الدروع

عاديا — (في مؤخر الخيمة) يارب السماء ثبت أبي في الوفاء

الطماح — او يحسبني سيدك ولداً انقاد لارادته فليعلم ان ابنه لا يرد اليه الاَّ اذا سلم اليَّ الوديعة فاذهب واخبره بما رأيت من استعداد جنودنا وعددهم . . . وأنا مرسل اليه عن قريب من يحمل اليه جوابي الاخير

عاديا — (يتقدم الى الامام) وقل له أيضا انَّ ولده لا يكترث للعذاب بل يرحب بالموت في سبيل الشرف والوفاء

الطماح — قلت فامتثل أمري (يخرج شيبوب)

✻ المشهد الثامن ✻

(الطماح . عاديا)

عاديا — او سمعتَ جواب أبي وتيقنت ثباته على البر بقسمه والاحتفاظ بوديعة جاره ؟

الطماح — او سمعت انت تهديدي بقتلك ان لم انل المطلوب ؟

عاديا — سمعته ولا اعبأ به

الطماح — او تظن ذلك من قبيل الوعيد فتضحك من الموت ! لا لا ! بل تيقن اني سأقرن القول بالفعل وأضحيك بل أضحيكم جميعكم في سبيل غايتي فالويل لكل من تعرّض لي وحال دون ادراك ثاري فسأجعله موطئاً لقدمي ومرقاةً ارتقيها لبلوغ مطامعي

عاديا — (بانفة) لانت في حالة الغيظ ترغي وتزبد افضلُ عندي منك في حالة السكينة تسعى في الظلام وتزحف كالافعى هكذا أقف على افكارك واحاربك بسلاح الحزم والثبات . فطالما كنت ممتطياً صهوة المكر متدرعاً بدرع المواربة كنت اخافك واخشاك وأخشى على نفسي من الوقوع في حبائلك الشيطانية لان افكاري لم تكن لتدركها . فليهج هائجك وليحتدم غضبك ما شئت فلست أعبأ بك

الطماح — (على حدة) فلنعد الى السكينة (لعاديا) ان الذي دفعني الى الحدة في اللهجة هو خوفي عليك ياولدي .

عاديا — بالله عليك اسألك واحدةً وهي الا تدعوني بهذا الاسم فما انا الا ابن احرار كرام

الطماح — (متابعاً افكاره بتكلف) اجل خوفي على حياتك فان المنذر قد اخذ على نفسه الايمان المحرجة بقتلك او بالادرع فاشفق على نفسك وارحم شبابك ولا تسلم نفسك الى الموت

عاديا — الموت ! أهلاً به ان كان يخلصني من شرك

الطماح او تعرف ما هو الموت فترحب به ؟ . الموت كاس صعب شربها مرٌّ مذاقها ! الموت يفصلك عن اهلك وخلانك . . تموت وانت في ربيع العمر . . تذوي زهرة شبابك وتذبل تودّع امالك في هذه الحياة . تغادر هذه الدنيا الجميلة وتصبح ظلمة القبور مثواك . .

عاديا — ان ابن الاحرار لا يهاب الموت في سبيل الشرف بل هو يفضل المنية على الدنية

الطماح — (غضباً) وسنشن الغارة على ابيك وندمر الحصن فتطأ كم الجيوش وتتناشكم السيوف ، يستحرُّ بكم القتل ويطبق عليكم الذل

عاديا —

لا تحسبن اذا هممت بحربنا ... انا لدى الهيجاء غيرُ كرام
ولقد علمت وأنت فينا شاهد ... وسيوفنا تفري فروع الهام
أنا نمنع بالطعان جوارنا ... والطعن تحسبه شهاب ضرام
ضمنت لنا أرماحنا وسيوفنا ... بهلاك كل مخادع ضرغام
واذا الكرامُ تذاكرت ايامها ... كنتم على الايام غيرَ كرام

الطماح — على رِسلك يافتى فاذا كان نصل السيف لا يرعب فرائصك فاننا سننزل بك عذاباً مبرحاً قبل ان يمزق الحسام لحمانك ويا ما أفظع الميتة التي ستموتها

عاديا — ويا ما اقبح الحياة في الذل والعار ويا ما احلى هذا العذاب وعذاب الدنيا باسرها في سبيل الوفاء.

موت الكريم حياة لا نفاد لها ... قد مات قومٌ وهم في الناس احياء

الطماح — لا تدع نزق الشباب يستولي عليك يا عاديا فيقودك الى ما لا تحمد عقباه .. تبصر في امرك . ترى ان اباك مرتاب في امر الوديعة . وكلمة منك تكفي لاسترجاعك بتسليم الادرع فاكتب طالباً منه ذلك حرصاً على حياتك لان موتك باصراره

عاديا — وهل اسمى وراء ما كنت اخشاه .. كنت جزعت من ان يستفزَّ الحنوُّ ابي فيدفعه الى خفر الذمة وأيث انت تطلب ما لا ترضاه

نفسي الابية فاعزب عني فلا التهديد يروعني ولا الوعيد يزعزعني ولو تيسرت لي الكتابة لكتبت الى ابي انبته في حفظ الوديعة

الطماح —

اني نصحتك دع ما أنت طالبه ⁂ واقصر فانك في هذا على خطرِ
وان رجعت الى هذا الكلام فقد ⁂ أتاك مني عذاب زائد الضررِ
وحق من خلق الانسان من عدمٍ ⁂ ومن انار ضياء الشمس والقمرِ
لئن رجعت الى ما أنت ذاكره ⁂ لاصلبنك فى جِذعٍ من الشجرِ

ادبا —

الموت عندي يا طماح وردُ هنا ⁂ فالموت فى شرفٍ عزٌ وتمجيدُ
ان رمت تقتلني فالله ينصرني ⁂ وعند رب العلى عونٌ وتأييدُ
والعيش في ذلةٍ تأباه انفسنا ⁂ ونؤثر الموت اذ بالموت تخليدُ
لا تجهد النفس في اخفار ذمتنا ⁂ هذا جوابي فلا يجديك تهديدُ

الطماح — لا يجديني تهديد فسوف نرى اذا كان اتباع القول بالفعل يجديني ادعك الآن تتروى في أمرك ولا تنسَ ان بين نم ولا موتك وحياتك (يخرج)

⁂ المشهد التاسع ⁂

(عاديا وحده)

نم اذهب ودعني وحدي ابكي نحس طالعي واندب سوء حظي فلا تشهد بكائي فتشمت فى بلائي . . بين نم ولا موتك وحياتك . . آه كنت احسبني لا اخاف الموت ولا اخشاه . واخالني ابقى امامه ثابتاً لا اتزعزع . . . اما الآن فقد اصبح لهذه الكلمة وقعٌ هائل في فؤادي دوى صداها الرائع في أذني فحرك ساكن عواطفي . . .

ان فرقة الاحباب تروعني وظلمة القبور تهولني .. آه يا أبي هم يريدون قتلي ولكنك ستهب لنجدتي فتفرّق جموعهم وتخلصني من ايديهم ...

الى الله أشكو محنتي وكآبتي ... لعل اله العرش يزهقهم رعبا
يريدون قتلي يا أبيَّ تعمداً ... وحفظُ عهودي كان عندهمُ ذنبا
فلا تترك الاعداء تملك مهجتي ... وتأخذني قهراً وتأسرني غصبا
وقد عرف الاقوام انك فارسٌ ... واشجع من حلَّ المشارق والغربا

آه يا طالما اغاث ابي الملهوف وعزّى البائس وامن الخائف وايس من يخلص له ولده من الهلاك ... (سكوت) ولكن ما لي ادع افكار الجزع واليأس تستولي عليّ فتضعف عزيمتي ... اليكِ عني ايتها الافكار فما قلب عاديا ليرهب الموت في سبيل الحب والوفاء .. اما وفي موتي نجاة هند وخلاصها من المحن فيا ما اعذبَ الموت

انا اموت جريء القلب مغتبطاً ... يقضي بذاك غرامي ثم ايماني
هواي يقضي كما يقضي به شرفي ... ما اعذب الموت اذ يقضي به اثنانِ
حبيبةَ القلب اني في هواكِ على ... عهد الوفاء ولو حبيك اضناني
أرى مماتي بعين الحب يعذب لي ... كما اراه بصدقي رافعاً شاني
تسعر الشوق في صدري فذبت كما ... ذاب الرصاص اذا اصلي بنيران
فلو تريني واشواقي تقلبني ... عجبتِ يا هند من صبري وكتماني
يا هند موتي فداكم فارحمي دنفاً ... وشيعيني الى قبري برضوان
واستمطري الغيث تهتاناً على جدثي ... وروّحيني بدمعٍ منكِ هتان

(غناء عن بعد) ما ذا اسمع ؟ .. ما اعذب هذا الصوت وما أرقَّ هذه الالحان فقد أخذت بمجامع قلبي (يقترب الصوت شيئاً فشيئاً) ان هذا الغناء يذكرني ايام الوصل والصفاء حيث كنت في قومي بالقرب ممن اهواه ... فسقياً لايامٍ مضت ما كان احلاها . مضت ولم يبقَ الا ذكراها .. مضت فابقت في الفؤاد لوعة وحسرة ..

مضت كحلم رائع مرَّ طيفه كبرقٍ لمع ... فيا أيام هنائي أما من عودة .. اما من عودة اليك يا ديار .. ألن تنظر عيني حمانا وربوع نعيمي ام يودّع قلبي عن بعد الاهل والمنازل الوداع الاخير .. ؟ (غناء : يقترب الصوت) ... إن هذ الصوت ينسيني أسري واحزاني وينفي عني عنائي واوجاعي واشجاني ... يخيل لي أني في الابلق المنيع وهند تطربني بالحانها الشجية ... لست استغرب هذا الصوت ولا تخفى عليَّ هذه النغمة ...

(يدخل الربيع وهند متنكرين بصفة منشدين)

المشهد العاشر

(عاديا . هند . الربيع)

هند — (بتحفظ) السلام على الامير الكريم . هل لك بالغناء فانشدك بعض اشعار

عاديا — اهلاً بقدومك ايها المنشد (على حدة) هذا صوتها او تكون هي .. ؟

هند — (ناظرة في كل اطراف الخيمة) وهل الاسير وحده ؟ ...

عاديا — نعم وليس ما يسليه في كربته سوى ذكر احبابه

هند — (ترفع اللثام) وقد اتوا يزورونه في سجنه ...

عاديا — هند !

هند — عاديا !

عاديا — وكيف عرضتِ نفسك فاتيتِ معسكر الاعداء

هند — هذا اقلّ ما اقدم عليه في سبيل نجاتك

عاديا — رفيقكِ إن لم يخطىء ظني هو الربيع الفزاري

الربيع — (يكون في غضون ذلك ينظر في الخيمة مستفحصاً) انا بعيني .. فاني لما لم ارَ بداً من مجيء ابنة امرىء القيس لم تطاوعني النفس على تركها وحدَها عرضة للمخاطر

هند — وقد كان لي نعم الرفيق . فقد وجدنا في جماعة الطماح أناساً من فزارة مهدوا لنا الدخول بين المضارب بصفة منشدين متسوّلين الى ان اهتدينا الى معترَك

الربيع — لا سبيل الى الوقوف طويلاً فتدركنا العيون سيما ونحن في خيمة الاسير . فعجلا وانا واقف هنا بالمرصاد ارقب المارين خشية ان يداهمنا احد (يتمشى في مؤخر الخيمة)

عاديا — بالله عليكِ يا هند ان تصدقيني الخبر عنك وعن الحمى فان قلبي مذ فصلوني عنكم لا يزال يذوب شوقاً الى الديار وساكنيها

هند — او تسأل عن حالنا .. ؟ منذ فراقك صارت افراحنا اتراحاً واستحال صفاؤنا كدراً والعدو امامنا ينذرنا بالويلات ان لم ينل المرغوب

عاديا — منذ برهة كان هنا فأتاني من كل ابواب التمليق والدهاء فلما ان اخفق مسعاه اخذ يبرق ويرعد وتوعدني بالموت بعدُ مرّ العذاب ان لم أساعده على نيل أمانيه وذهب

هند — الم تجب طلبته ؟

عاديا — او لم تعرفينا بعد يا هند .. أرأيت فينا أناساً يخونون الذمام حتى يبقى لك من ريب في جوابي ..؟ لا لم أجب الى طلبه ولم ارهب تهديده

هند — ويلي عليك وويلي منك يا عاديا .. ليس كلامهُ من باب التهديد

فهو ينذرُ بقتلك او بتسليم الوديعة

عاديا — وبمَ اجاب ابي ؟

هند — ابى تسليم الادرع كل الاباء

عاديا — هذا تراث اجدادنا وهذه شمائل صاحب الابلق

هند — فطلبنا اليه انا وعمي يزيد ان يفتديك بدروعنا ومالنا ـ ونحن نفديك بالارواح ـ ولكن لم يصادف كلامنا الا اذناً صماء فسار عمي يستقدم ابي واتيت انا متنكرةً الى هنا استطلع طلع اخبارك . اما الآن فليس من سبيل الى الابطاء ويجب خلاصك عاجلاً

عاديا — وكيف السبيل الى النجاة ؟

هند — الفرار

عاديا — واي سبيل الى الفرار والجنود تحدق بنا من كل جانب ؟

هند — الامرُ اهون مما تتوهم

عاديا — وكيف ذلك ؟

هند — ان تأخذ ثيابي وتتنكر بزيي

عاديا — وانتِ ؟

هند — اقوم مقامك

عاديا — لا والله لا يكونن ذلك ابداً

هند — ولكن لا بدَّ من ذلك ...

عاديا — لا ورب السماء ... ان نفسي تنفر مما تعرضين عليَّ ولا ترضاه !

هند — بالله عليك يا عاديا لا تضع الوقت بالكلام فالفرصة لا تسنح لنا مرتين .. أسرع .. ارتدِ ردائي ورافقتك السلامة ودعني اموت مكانك

عاديا – يعلم الله يا هند انني لا ابخل عليك الا بهذا . . هنا يقضي علي الحب والوفاء ان اكون فهنا ابقى . . . فلا تجهدي النفس

هند – لا لا بل تسمع لي بل تستجيب رجائي وتفرّ هارباً

عاديا – وهل اتخلى عنكِ في وقت الضيق لبذلُ روحي اسهل عليّ

هند – بالله عد الى ابيك انت ركن شيخوختهِ وعماد عشيرته ودعني اموت مكانك

عاديا – بحقي عليك عودي الى الابلق وانتظري رجوع ابيك واتركيني اموت في سبيلكم

هند – لا ان الوفاء لا يطلب ذلك فقد رأينا فيكم من اعزاز الجار وحفظ الذمام ما ليس بعده بعد

عاديا – ان لم يطلب الوفاء ذلك فالحب يقضي به

هند – وانا استحلفك بهذا الحب ان تجيب طلبي فتفرّ حباً بك او حباً بي

عاديا – بل ابقى هنا حباً بكِ وحباً بي . فاصون حياتك باحياتي وهي احب اليّ من روحي . واحفظ شرفي يا هند وهو أغلى ما لديّ

هند – أهذا ما عزمت عليه ؟

عاديا – قد قلت ولست أرجع عن عزمي

هند – (تخلع النقاب تماماً وتهم بالخروج) اذاً . . .

عاديا – (يعترضها) ما أراكِ تفعلين

هند – اني اذهب تواً الى الطماح وأعرفه نفسي وبما اني انا بغيته لا انت فانه يطلق سراحك ويعتقلني بدلاً منك او يتركني اموت معك

عاديا – هذا تورّط وجنون ما وراءهما جدوى وعملكِ هذا يمكن عدونا من سهولة الانتقام

هند — جنوني لا يعادله الا ازدراؤك بالموت ... انا ذاهبة ....

عاديا — قسماً بربي لن تفعلي

الربيع — كونا على حذر . اری احد رجل الطماح قاصداً الينا

هند — اهلاً به فهو يكفيني مؤنة التفتيش طويلاً

عاديا — بالله عليكِ . أعيدي اللثام والا هلكت لا محالة !

هند — وهذا ما اطلبه فما الحياة بعد الحبيب بحياة

عاديا — استحلفك يا هند بابيك وبحبك لي ! استري امرك وانا افعل ما تريدين

هند — اوتعطيني ميثاقاً على انقيادك لي

عاديا — أُشهد عليَّ الله (تسرع هند الى اللثام فتلثم .. وتأخذ الربابة وتجلس والربيع في زاوية الخيمة : غناء)

❊ المشهد الحادي عشر ❊

(الاشخاص ذاتهم . علقمة)

علقمة — جئتُ لارى من عند الامير

عاديا — منشد غريب مرَّ من هنا فدعوته ليسليني بنغمانه فالغناء تعزية الحزين وتسلية السجين

علقمة — ارى المغني على حداثة سنه ضليعاً من ابواب الغناء ماهراً في الضرب على آلات الطرب فلا شك ان سيدي الطماح يسرُّ بسماعه فسأعلمه به . عفواً يا كرام ... (يخرج)

﴿ المشهد الثاني عشر ﴾

(الاشخاص ذاتهم ما عدا علقمة)

عاديا — كاد يفضح امرنا بما عزمت ان تصنعي

هند — ويا حبذا لو كان بذلك نجاتك

عاديا — لم يكن بذلك الا هلاكنا وغبطة عدونا

هند — (يدها على كتفه) اما الآن فقد اعطيتني ميثاقاً على نفسك انك تفعل ما أُريد ولولا ذلك لفضحتُ امري وكشفتُ سري فانجزِ الآن ما وعدت

عاديا —

ايا هندُ مهلاً بعضَ هذا التدللِ … وإن كنتِ قد ازمعتِ ذلي فاجملي

فما ذرفتْ عيناكِ الا لتضربي … بسهميكِ في اعشارِ قلبٍ مقتلِ

أغرّكِ مني ان حبكِ قاتلي … وانكِ مهما تأمري القلبَ يفعلِ (١)

اجل يا هند افعلُ كلَّ ما تريدين ولكن استحلفكِ بكل ما يعزُّ عليكِ ألاّ تسوميني خطةَ العارِ فتطلبي مني ما لا ترضاه نفسي الابية

هند — لا اطلبُ منك الا ما يقتضيه العدلُ والتعقل . فإما ان ترتدي ثيابي وتفرَّ هارباً وانا اقوم مقامك . وإما ان تكتبَ الى ابيك ان يسلم الينا وديعتنا ويتركَ لنا حقَّ التصرف بها : هذا ما أُريد فاختر لنفسك ما تحب

عاديا — (بعد سكوت) روحي فداكِ يا هند . اما ان اهربَ وتقومي مقامي فذلك تورط ما وراءه جدوى . فان الطماح لا يلبث ان

---

(١) اصل هذه الابيات لامرئ القيس … قيل : اجتمع يوماً عند عبد الملك بن مروان اشرافٌ من الناس فسألهم عن ارقّ بيت قاله العرب فاجمعوا على قول امرىء القيس هذا

يقفَ على جلية الامر فيرسل في أثري من يدركني قبل وصولي الى الحصن . فيكون سهمه اصاب طريدتين . واما ان اكتب الى والدي أحثه على تسليم الادرع . فهو رأي اقرب الى الصواب

هند — ادعك تختار . ولكن عجل قبل مجيء الطماح

عاديا — (يكتب – على حدة) لستُ اجد وسيلة لانقاذ هند وصيانة الشرف افضلَ من هذه

الربيع — هو الطماح يقصدنا

عاديا — (يدفع الرسالة الى هند) اسرعا والا هلكتما . . . اخرجا من الجهة الشرقيـة حيث مربط الخيـل فتأخذا لكما جوادين . . . استودعكِ الله يا هند

هند — (وهي خارجة) على امل اللقاء القريب ان شاء الله (تخرج والربيع)

﴿ المشهد الثالث عشر ﴾

(عاديا وحده)

ان شاء الله . . . ولـكن هذا هو الوداع الاخير . . . (الى الخارج) احملي سلامي الى ابي وامي واخي الصغير . . . حيي عني الاهلَ والخلان . احملي تحياتي الاخيرة الى المنازل والربوع فلن تنظرَها عيني فيما بعد . .

سيري رعاكِ اللهُ من رفع السما ... واقري السلامَ على المنازل والحمى
واقري السلامَ على الاحبة كلهم ... فحبيبهم لفراقهم يبكي دما
حيي السموأل واخبريه بأنني ... عند المنية في الوفا لن أحجما
وام الاعادي ان يدنس عرضنا ... وانا أجود بما لديَّ ليسلما
لا تقطعوا امل اللقاء فانه ... سيكون يوماً ملتقانا في السما

... شكراً لكِ يا حبيبتي فان منظركِ قد اعاد اليَّ ثباتي وقوتي . فأقابل عدوي بعزيمة امضى وقلب اقوى ... واعرفي يا هند أننا قومٌ اذا احبوا ماتوا في سبيل الحبيب

إنا نحييكِ قبلَ الموت حيننا ... قولي سلام على من مات يفدينا
وان دعوتِ الى جلى ومكرمةٍ ... كان السوابق منا والمجلونا
انا لنرخص يوم الحرب انفسنا ... ولو نسام بها في الامن أُغلينا
نذودُ بالطعن عمن يستجير بنا ... نفدي بارواحنا عرضَ المحبينا
لذا اموت فدا المحبوب عن شغفٍ ... يا هند يوماً على الاحباب تبكينا

❋ المشهد الرابع عشر ❋

(عاديا . الطماح . علقمة)

الطماح — سمعتُ ان عندك منشداً ماهراً . فاتيتُ طمعاً بسماعه

عاديا — (ناظراً الى الخارج – على حدة) لم يبتعدا بعد ... (للطماح) مرَّ من هنا فأنشدني بعض ابيات وذهب

الطماح — لا بأس ... ما لنا وللغناء . فلنعد الى ما يهمنا اكثر . فاعذب الاوتار رنةً والطف الآلات نغمةً هي التي تعود علينا بالنفع

عاديا — (الى الخارج) قد خرجا من بين المضارب

الطماح — عسى ان يكون التفكير اولاك حسن التدبير . فعلامَ عولتَ اذن ... (سكوت) هل انت مصرٌ على عنادك فتذوق مرَّ العذاب ام تكتبُ الى ابيك تحضهُ على تسليم الادرع الكندية فتصبحَ موضع انظار المنذر

عاديا — (الى الخارج) قد ابتعدا (للطماح) بل رأيت الكتابة الى ابي افضل

الطماح — (متهللاً) ونعمَ الرأي ياعاديا . الم اقل لك إن التروي يخفض من

حدتك وينير افكارك . فاجلس واكتب الرسالة فتخلص من المحن .

عاديا — قد كتبتها

الطماح — ما أقدمك على العمل عند ما تريد ... واين هي فترسلها حالاً الى صاحب الابلق فيكون لك بها النجاة .

عاديا — لا أحبُ ان احملَ رجالك تعباً في سبيلي ... فقد ارسلتها

الطماح — (بدهشة) ومع من ؟

عاديا — ملاكٌ من السماء زارَني في سجني واخذ الرسالة الى ابي

الطماح — بل شيطانٌ من الجحيم ... أين الرسالة وما مضمونها ..؟

عاديا — ايها الطماح ... سرّحْ نظرك في اطراف هذا السهل

الطماح — أرى فارسين جادين في السير

عاديا — احدهما هند بنت امرىء القيس عدوك . صاحب الادرع بغيتك . اتت وجالت في معسكرك وزارتني في سجني ونفت عني شدتي وحزني حاملة اليَّ الاخبار عن الاهل والحمى . وقد دفعت اليها الرسالة لابي

الطماح — (لعلقمة) وكيف خفي عليك أمر المنشد فغفلت عنه ؟

علقمة — او يأمر مولاي ان نطاردهما

الطماح — (لعلقمة) ارسل بعض الفرسان في اثرهما (يذهب علقمة ثم يعود بعد هنيهة ـ وفي هذه الغضون يتابع الطماح مع عاديا) وما تقول في تلك الرسالة ؟

عاديا — او عندك من ريب ..؟ اقول لابي إني لا اخشى العذاب ولا اخاف الموت في حرمةِ الذمة . واستحلفه ان يبرّ بوعده ويحتفظ بعهده

الطماح — اذن لم يبقَ في القوس منزع فستساق الى النطع وتذوق العذاب الوانا

عاديا —

انى قوي القلب اسخر بالردى   في موقف الموت الزؤام وبالعدى

موتي حياةٌ في سبيل عهودنا   من مات حراً فهو حيٌّ سرمدا

لا تسعَ في اغواء من رام الوفا   ان الوفاء لدى الاكارم مقتدى

ان الوفاء ورثته عن والدي   لا يلبثنّ شعارنا والمحتدا

الطماح — اذهب يا علقمة باوامري الى اصحاب الالوية . فلتقوّض المضارب وليتهيأ رجالنا للمسير . ثم سر الى السموأل وبلغه عزمي الاخير : يسلم الوديعة وابنة امرىء القيس والّا هلك ولده لا محالة . ونحن سائرون نضرب الخيام على رمية حجر من الابلق فنصنع بصاحبه وقومه ونفعل

عاديا — أو يتبادر الى ذهنك انّ اسودَ الابلق تعبأ بكتائبكم يا ثعالب

يا ويل أمكمُ من جمع سادتنا   كتائبٌ كالربى والسيل ينسكبُ

فان سلمنا فانا سائرون لكم   بكل هندية في حدها شُطبُ

وكل جرداء مثل السهم يكنفها   من كل ناحيةٍ ليثٌ له حسبُ

لا تحسبوا اننا يا قومُ نُقلتكم   او تهربون اذا ما اعوز الهربُ

الطماح — قيدوا الاسير ريثما ننزل به اشدّ العذاب على مرأى من ابيه وآله . (يقيدون عاديا)

عاديا — (مقيداً)

لا ارهب الاسلَ الذوا   بل والمهندة البواتر

والقيدُ بات محبباً   مثل الخلاخل والاساور

تأبى المروءةُ ان اكو   ن لذمة الجيران خافر

والقلبُ يأبى ان يكو   ن بدينٍ من يهواه كافر

والموتُ عندي في الوفا   شرفي لدى اهل المفاخر

الطماح —

طمحت الى كيد العداة مكايدي … وكذا تكون مكايد الطماحِ
لأدمرنَّ حصونكم ورجالكم … لأبددنْ جموعهم برماحِ
ولاقلبنَّ صفاءكم كدراً وا … ـدل رغدكم وهناءكم بنواحِ
ولاقبضنَّ حياةَ كل معاندِ … فيقال هـذا قابض الارواحِ
لا بدَّ من ارداء من اردى اخي … فيرى السموأل خيبةً بنجاحي
مهلاً سموألُ لا تظلَّ معاندي … واتركْ ثكلتَ فريسة الطماحِ

الفصل الرابع

(الوفاء)

قاعة في الابلق كالفصل الثاني

المشهد الاول

(السموأل وحده)

أأخون عهدي بالوفاء وذمتي … فأخلص ابني من ملمات الخطر
ام هل اكون على العهود محافظاً … فاشاهد ابني تحت اطباق الحفر
ما حيلتي سدت علي مذاهبي … واندك عزمي من تصاريف القدر
والدهر ابدى ناجذيه معادياً … وصفاء عيشي قد تبدل بالكدر
واذا تكاثرت الهموم على امرىء … فمن القضاء وحكمه اين المفر
احياتك ابني ام وديعة جارنا ..؟ … امران ذا مر علي وذا امر

ما العمل وما التدبير ان الطماح قد هاج هائجه وثار ثائره فليس كلامه من باب التهويل . وهو لا يرجع عن قصده ما لم يظفر بثار اخيه .. انه يطيع داعية الانتقام ويستنبط الحيل الجهنمية لبلوغ اربه وقد اصطادني في الاحبولة التي نصبها لي . وها ان ولدي ومهجة فؤادي اصبح في قبضة يده فيتخذه ذريعة لنيل مناه ... وانا قد اصبحت في موقف حرج يتعذر على الاباء الوقوف بمثله : اما غدر واما ثكل . وما اشدهما على قلب المجير والوالد ... اما ان اكون ابا قاسي القلب وحشي الطباع بربري الاخلاق . واما ان اخون جاري واخفر ذمتي واحنث في يميني فاصبح سبة في افواه

العريان . يالها من عوامل قاتلة قد اشتدَّ معتركها في فؤادي فأمسى تتنازعه دواعي الحب والحنو تارةً ودواعي الوفاء والشرف أخرى ... تيارٌ هائل يجاذبني ويتلاعب بي . فان غلب الحنان الوالدي وسعيت في خلاص ولدي بتسليم الوديعة اكون خنت جاري ونقضت عهدي فاوصم بوصمة العار ونفسي تأباه فاظل اغدر الغادرين... وان بقيت محتفظاً بالوديعة اميناً على حقوق الجار اكون انا بنفسي قد قتلت ولدي فأبيت اثكل الثاكلين ... ولكنَّ صوتَ والدي يدوي في أذني ويردّد على مسامعي: «كن وفياً ياسموأل » وانا وحقك يا ابي لست لاخون الجار او انقض العهد مهما انتابني من النوائب والخطوب

وفيتُ بادرع الكندي اني   اذا ما خان اقوامٌ وفيتُ
بنى لي عاديا حصنا حصيناً   اذا ما نابني ضيمٌ ابيتُ
واوصى عاديا قدماً بان لا   تهدّمْ يا سموأل ما بنيتُ

﴿ المشهد الثاني ﴾

(السموأل والحارث)

الحارث — السلام عليك

السموأل — وعليك احسنه واذكاه

الحارث — تسرني مصادفتك على حدة لمحادثتك بامرٍ ذي بال

السموأل — ان مخاطبتك تلذ لي واراءك السامية تروقني . فقل ما بدا لك يا مهذّب اولادي

الحارث — وما حديثي الا عن اولادك يا أخي . الى متى هذا العناد حتى م تعرّض حياة عاديا للهلاك ؟ فان الطماح معقد النية على قتل عاديا ان لم تسلم الادرع

السموأل — وانا عقدت النية على حفظ الوديعة ومنع الجار . وما الطماح الا وغد لئيم قد طالما تمرّغ في وحول الدناءة

الحارث — ذلك ليس من ينكره ولكن الايام تواطئه على نيل مبتغاه وتحقيق امانيه بجملته محاماً لانظار المنذر ومكنته من ولدك ليتمّ له الظفر

السموأل — ان آماله اوهى من نسيج العنكبوت . فليس المنذر ليخدم بغض الطماح ويساعده على الانتقام . وقد ارسلت اطلب ولدي من ابن ماء السماء وعن قليل يعود رسولنا بما أرغم به انف الحساد

الحارث — لا تستمسك باهداب هذه الآمال الفارغة فابن ماء السماء هو الدّ اعداء امرىء القيس كما لا يخفى عليك وما الطماح الا مؤتمر بامره . فلا ارى لنا من هذا الباب فرجاً . سيما الآن وقد بلغ المنذر خبر عودة امرىء القيس بعساكر الاحلاف فلا يزداد الا غضباً وهياجاً . وما اخاله الا يلحّ في طلبه بل يزيد في مطالبه ليتمكن من الثبات في وجه اعدائه ... وعليه ما سوف تفعل اذا ثبت ملك العراق فعل الطماح واستصوبه ؟

السموأل — اني اجود بولدي ولا اخفر ذمتي (يدخل شيبوب)

شيبوب — رسول حمل الينا هذه الرسالة

السموأل — (يفض الرسالة) « من المنذر ملك العراق وسيد العرب الى السموأل بن عاديا : ساءنا جداً ما اتيته من اجارة عدونا وما الطماح الا عامل بارادتي فسيعلمك بمطالبي الجديدة فهو المفوض في كل الامور . والسلام » ... وما تكون مطالب المنذر الجديدة .. ؟

الحارث — لا ندري ما يخبئ لنا الدهر من المحن . أرأيت كيف ان الطماح وسوس للمنذر انه بلا الادرع لا يتمكن من عدوه وانه

لا ينال الادرع الا ما دام ولدك رهناً عنده يضمن له خضوعك

السموأل ـ قاتل الله المكر فانه متى تمكن من قلب الانسان جعله اشد من النمر فظاعة وقساوة

الحارث ـ فما انت فاعلٌ الآن وقد أصبح حدسنا حقيقة اذ تأكدت مواطأة المنذر للطماح ؟

السموأل ـ قلت لك لتضحية ولدي عن آخرهم احبُّ الي من الخيانة والعار فانا مقيم على الوفاء ثابت على العهد ولو كان في وفاتي

الحارث ـ تروَّ في الامر يا اخي ولا تأخذك عزة النفس فتوقع ولدك في التهلكة

السموأل ـ ليس عزمي بناجم عن الحدة والاسراع بل هو ثمرة تروٍ طويل وقد املاه عليَّ الشرف

الحارث ـ وما هذا التروي الذي يقودك الى قتل ولدك ؟ وما هذا الشرف الذي يقضي بقطع حياة من هو حياتك ؟

السموأل ـ هذا الوفاء يا حارث

والغدرُ بالعهد قبيحٌ جدا شرُّ الورى من ليس يرعى العهدا

الحارث ـ هذا تورط . وهل بلغك ان احداً ضحى بولده في سبيل الجار ؟ الا تشفق على ولدك ؟ اتدع السهام تمزّق لحمانه على مرأى منك وأنت ثابت الجأش لا تتزعزع ؟

السموأل ـ يعلم الله ! لسفك آخر نقطة من دمي اسهل عليَّ من ان يلحق بولدي ادنى اذى ولكن تيقن ان سفك آخر نقطة من دمائنا جميعاً اهون على قلبي من ان يلحق بعرضنا ادنى دنس

الحارث ـ اذاً لا شيءَ يثنيك عن عزمك

السموأل ـ لا !

الحارث — يا للقساوة . الي ايها الحب الوالدي . . الي يا حنو الآباء على الابناء . . ساعديني يا عواطف الشفقة والحنان . هلمي واخرقي هذا القلب القاسي وليني منه الفؤاد . عله يحن على ولده . ويشفق على فلذة كبده . آه ان عنادك ينزل بناديا اشد العذاب . واصرارك يقصف غصن حياته . وكلمة من فيك تحل وثاقه . واشارة منك تعيده الينا سالماً . . . وهذه الكلمة انت لا تقولها وهذه الاشارة لا تأتي بها فتبحث بنفسك عن هلاك ولدك . . .

السموأل — كفى لوماً وعذلاً يا حارث . . كفاك تضرب على وتر كاد يتقطع من الاضطراب . . . رشقتني الايام باحدّ سهامها فاصابت حبة قلبي وكأنّ الطعنة غير كافية فتسعى انت في توسيع الجرح . أتظن ان هذه العواطف لا صدى لها في صدري ؛ ايتبادر الى ذهنك ان قلبي لا يقطر دماً عند هذه الافكار! آه ان دموعي احر نار الجحيم ابردها . . . انت تجهل اي مراجل فار فائرها هنا تحت مظاهر السكينة والهدو واي نار تأجج سعيرها فكادت تلتهمني . . . آه اود ان تنهشني السباع بانيابها وتمزقني العقبان بمخالبها افضل ان اقلب على مقالي الجمر وأحرق في تنور مسجور من ان اكون في موقف يتنازعني فيه عامل الوفاء وعامل الحنو . . . وانا موقن ان السهم الذي يخرق احشاء ولدي لا يلبث ان يصيبني فيرديني فاتبعه الى القبر عاجلاً . . . لكننا نكون متنا شهداء الوفاء

الحارث — ليس الوفاء يطلب ما تأباه الشريعة ولا يرضاه الله . فانه عز وجل يأمرنا بتفضيل النفس على المال . فهل يجوز لك ان تجود بنفس ثمينة خالدة في سبيل شيء فان ؟ . لا يا اخي : حياة عاديا لله وليست لنا فنجعل لها حداً

السموأل — ثق باني لولا هذا الفكر لما كنت ما طلت بالجواب ولما اصغيت برهة الى نجوى الحنان . فان ما يمنعني عن الاقدام في هذا الامر هو قولي : ان حياة ولدي لمن اعطاه الحياة وليس لي حق التصرف بها

الحارث — ونعم الفكر .. فرضى الضمير قبل رضى الناس . ولن على ثقة من اني ما قصدت بكل ما قلت اثارة احزانك وتهييج اشجانك لكنما الشفقة على عاديا من ربيته وثقفته دفعتني الى حدة اللهجة

السموأل — لا ريب لي في ودادك واخلاصك . اذهب الآن فرسولُ الطماح لا يلبث ان يأتينا بالجواب الاخير . فاجمع وجهاء عشيرتنا ووافني بهم الى هذا المكان ... وانا سأفكر ملياً فاذا كان ولدي لا يرضى ان يجود بحياته في سبيل الجار فليس لي الحق ان افعل (يهم الحارث بالخروج) ولكن قل لي هل وقفتم على شي جديد بشأن هند ويزيد.

الحارث — لا . فهما لا يزالان غائبين من الحمى (يخرج الحارث)

السموأل — يا رب السماء . ما هذه المحن التي تحدق بنا ..

❋ المشهد الثالث ❋

(السموأل وحده)

ما حلَّ بهما يا ترى ..؟ ان امرأ القيس جعلهما في ذمتي مع الادرع ... اما يزيد فقد بلغ اشدَّهُ فلاخوف عليه لكن هنداً فتاة يخشى عليها الوقوع في المكروه.. بابة لهجة شريفة طلبت اليَّ ان أدفع الادرع الى الطماح فلا يلحق بولدي اذى . ما اعزَّ نفسَ هذه الفتاة ولله درها ما اكرم سجاياها ... عن قريب يوافينا رسولُ الطماح . فبمَ أجيب ..؟ أنرْ عقلي بنور حكمتك يا باري الورى ...

❋ المشهد الرابع ❋

(السموأل . شريح)

السموأل — اهلاً بقرَّةِ العين وبلسم الفؤاد

شريح — (يقبل يد ابيه) انا بطلبك يا أبي ما لك تؤثر العزلة والانفراد..

أتحب ان يبقى ولدك شريح هنيهة عندك عساه ان يسلي كربتك وينفي همك؟

السموأل — ان مرآك يا اعز من روحي هو مصدر سروري وافراحي

شريح — وهل من خبر جديد عن اخي عاديا فان بعده يكوي فؤادي

السموأل — شريح أصغ الي: ان اخاك سيبقى اسيراً حتى نسلم الوديعة فلو طلب منك ان تنوب منابه في الاسر هل كنت تفعل؟

شريح — بكل طيبة خاطر لو كان اخي يتخلى عن مركزه لاحد

السموأل — ولو بلغت القحة من عدونا ان قال: موت الاسير او تسليم الوديعة. فما كنت تصنع ..؟

شريح — انا لا ادري ما هو الموت ولكني اخالني افضله مهما كان على خيانة الجار

السموأل — (يقبله) عشت يا ابن ابيك يا كريم الاجداد! فان مرؤتك لدليل على ثبات اخيك (على حدة) وهل يكون عاديا اقل حزماً من شريح ..؟

المشهد الخامس

(السموأل . شريح . الحارث . شيبوب . فرسان . ثم الرسول)

الحارث — ان الرسول قد وافى يحمل الينا جواب الطماح

السموأل — ادخلوه. ايمكنني ان اعتمد عليكم ايها الابطال في الثبات في وجه العدو

شيبوب — لك الامر وعلينا الطاعة (يدخل علقمة)

علقمة — على الكرام سلام. اما بعد فهاك ما يقوله لك مولاي الطماح: يا ابن عاديا قد عيل صبري من مماطلتك. فاجب سؤلي الساعة والا ترى ولدك هدفاً لسهام تمزق احشاءه. فاشفق على ولد يسترحمك بحب الاباء للبنين ألا تقصف غصن حياته

شريح — كذبت وكذب سيدُك يا رجل ! ليس من يجري في عروقه من دم السموأل ليرهب الموت في سبيل الوفاء

علقمة — دع عنك هذا الكلام يا غلام واشفق على من تعرّضونه للموت

الحارث — (للسموأل) أوصيت وسمعت ؛ فهل يحق لك ان تجازف بحياة عاديا في سبيل ما لا يُعتدّ به اذا ما قوبل بدم يهدر ؟

السموأل — آه استرحام ولدي ! هذا ما كنتُ اخشاه. وهذا ما قد يزعزعني فيقضي عليّ الضمير بحجر دمه

علقمة — هذا وان مولانا وسيدنا المنذر بات يتوجس شراً من محالفة قيصر الروم للكندي وامداده اياه بالعدد والجنود . فلا بدّ لنا اذن مع الادرع من هند بنت امرىء القيس لتكون لنا ذخراً عند الحاجة ...

السموأل — كفى يارسول ! فلم يبقَ للتردد من مجال . خيرتموني بين ابني والوديعة فترددت لان الله ينهانا عن تفضيل المال على الروح . اما وانتم تطلبون مني الآن بذل حياة جاري دون حياة ولدي فيقضي عليّ الله والشريعة بالا احجز دمَ ولدي بهدر دم جاري . فلموتي ولسفكُ دمائنا عن آخرنا اهون عليّ من ان يُمسّ جاري باذى

يهونُ علينا ان تُصابَ جسومنا ونسلمَ اعراضٌ لنا وعقولُ
فانا لقومٌ لا نرى القتل سبةً اذا ما رأته عامرٌ وسلول
تسيلُ على حدِّ الظباتِ نفوسنا وليست على غيرِ الظباتِ تسيلُ
وما مات منا سيدٌ حتفَ أنفه ولا طُلَّ منا حيث كان قتيل
اذا سيدٌ منا خلا قامَ سيدٌ قؤولٌ لما قالَ الكرامُ فعولُ

علقمة — او تشهد مقتلَ ولدك ولا تجزع ؟

السموأل — او تشمت ببلائي يا هذا .. ؟ اما والمروءة تملي على ما افعل فلا اجزعُ من شيء ، (للحارث) أليس كذلك يا اخي ؟

الحارث — قد وضعتُ اتكالي على الله واياه اسأل ان يمدّنا بالمعونة

علقمة — لكن ولدك يسألك انقاذهُ . فعاديا لا يريد ان يموت

هند — (من الخارج) لا . . . لا يريد ان يموت .. !

الحارث — ما هذا .. ! هند .. ؟

﴿ المشهد السادس ﴾

(الاشخاص ذاتهم وهند والربيع)

هند — انا آتيةٌ من معسكر الطماح حيث زرتُ عاديا وهاكَ منه رسالة

السموأل — (يفض الرسالة) « ابي لستُ اخافُ الموت فاحتفظ بوديعة جارنا واحرص على هند فقد اصبحت مطلب الاعداء . . . ولا تأسفوا على من يموت في سبيل الشرف »

شريح — (لعلقمة) أترى مصداق قولي وان كلام سيدك أفكٌ وافتراء ؟

السموأل — او اكونُ اقلَّ شجاعةً من ولدي؟ عونك ياربَّ السماء اسألهُ لاقوى على هذه المحنة

هند — (بعد سكوت . كمن يفيق من حلم) سامحك الله يا عاديا . . . اهكذا خدعت من تدّعي حبها

السموأل — واين الخداعُ يا بنية ؟

هند — هاكم واقع الحال : طلبتُ اليك تسليم الادرع لانقاذ عاديا فابيت . فذهبتُ متنكرةً الى مضارب الطماح وتوصلتُ الى السجين وعرضتُ عليه ان يفرَّ واقوم مقامهُ فأبى . فعزمت على تسليم نفسي الى عدونا

فيمتقلني ويطلق سراح اسيره وكدت افعل لو لم يعدني عاديا بانه ينقادُ لي ويفعل ما اريد . فخيرته بين قيامي موضعه وكتابته الى ابيه يحرضه على تسليم الوديعة ففضل الكتابة

وانتم سمعتم كيف قام بوعده　　وخان مقالاً كنت احسبه صدقا
توهمتُ أنَّ الخطَ يثبتُ عهده　　فخالف منه خطهُ العهد والنطقا

السموأل　— اكرم بكما من فتيين كريمي الاخلاق شريفي الخلال احرز كل منكما على حداثة سنه عزة النفس وكرم الطباع . فان ثباتكما وازدراكما بالموت يمليان عليَّ جلياً ما يجب ان افعل

علقمة　— والآن . اتسلم الوديعة مع ابنة امرىء القيس ام تسلم ولدك الى الهلاك ؟

هند　— (للسموأل) بالله عليك يا كريم الاصل ! كفى ما تحملته في سبيلنا من الضيم . وها انا اترامى على قدميك واستحلفك ثانية باسم والدي وبحق حبك لعاديا ألا تفعلَ فينتج عملك ما يجرُّ الويلات ... سلم الادرع وسلمني انا وانقذ ولدك

السموأل　— انهضي يا هند . موتنا جميعاً ولا يصيبك مكروه .. والذي روحُ السموأل بيده لست لانقض عهد الجار

هند　— آه لو كان ابي يحضر الآن فيصدك عن عزمك ..!

السموأل　— كفى ! فليس ما يثنيني عن عزمي . وانا بحاجةٍ الى كل جلدي فلا تسعوا في اضعاف عزيمتي . فالموقفُ حرج . والامر جلل

علقمة　—

فكرْ سموألُ في ما انت فاعله　　قد قلتُ فاحذرْ عداء الضيغم الضاري
اعطِ الوديعة فالطماحُ ينذركم　　فان ابيتَ ثكلتَ ابناً باصرار

إما دم ابنك إما ان تسلمها فاخترْ وما فيهما حظٌ لمختارِ

السموأل —

فقل لمولاك منعُ الجار من شيمي اقتلْ اسيركَ اني مانعٌ جاري

عندي له خلفٌ ان كنت تقتلهُ وان قتلت كريماً غيرَ خوَّارِ

مالٌ كثير وعرض غير ذي دنسٍ واخوةٌ مثله ليسوا باشرارِ

فسوف يخلفه ان كنت تقتلهُ ربٌ كريمٌ وقومٌ ولدُ احرارِ

ونحن لا نشتري عاراً بمكرمةٍ نختارُ مكرمةَ الدنيا على العارِ

نصونُ بالصبر عرضاً لم يشنه خنا وزندنا في الوفاء الثاقبُ الواري

من جاء ابلقَ تيماء يلاقِ به حصناً حصيناً وجاراً غير غدَّارِ

فقل لمولاك منع الجار من شيمي اقتل اسيرك اني مانعٌ جاري (١)

علقمة — (وهو خارج)

هذا الكلام يزكي اليومَ حرقتكم اشرفْ سموألُ وانظرْ للدم الجاري

شبيوب —

مولاي دعني بحدِّ السيف اصرعه فيرتوي من دماه غلُّ بثاري

السموأل —

لا تفعل فما هو الا رسول ودم الرسول حرام

﴿ المشهد السابع ﴾

(الاشخاص ذاتهم ما عدا علقمة)

الحارث — الا يثنيك عن عزمك لا وعدٌ ولا وعيد ؟

---

(١) راجع قصيدة الاعشى التي مطلعها :

شريح لا تتركنّي بعد ما علقت حبالك اليومَ بعد القدِّ اظفاري

السموأل — لا . وحق من خلق آدم من التراب لن اعتاضَ بتلك الادرع جملاً ولا ناقة فاكتسبَ بذلك فن العضد وسبة الابد... وانتم يا كرام العرب هل تمدوني بالذود عن جارنا ووديعته ؟

شبوب —

سيهرق كلٌ في رضاك دماءه ... وكلٌ على حفظ الوديعة قائمُ
حلفنا وحق الله لسنا لنرتضي ... بما طلب الاعداء والله عالمُ
لقد خسىء الاعداء لا ينزعونها ... مراغمةً ما قام للسيفِ قائمُ

الحارث — مال الظلُّ الى الزوال وانتهت المدنة المعطاة لنا

الربيع — ان معسكر الطماح في حركة

الحارث — وصل الرسول وبلغ جوابك

السموأل — آه من لي برجالي الآن فاخرجَ على الاعداء وأبدد شملهم وانتشل ولدي وحبيبي من بين مخالبهم ..!

هند — آه لو ارسل الله ابي مع فرسانه الابطال فينقذ عاديا .. !

الحارث — (ناظراً الى الخارج) لقد اتوا بعاديا وشدّوه الى جزع شجرة

الربيع — (كذلك) ما هذه الجلبة بين عساكر العدو .. ؟ هرع كلٌ الى سلاحه

الحارث — (كذلك) ما هذا الغبار المرتفع في اطراف السهل ؟

الربيع — هذه فرسان من غير العرب

السموأل — او يكونون احلافاً يبشرون بالخير ام اعداء ينذرون بالويل ..؟

هند — يا للنصر والابتهاج هذا علمنا تخفق طياته فوق رؤوسهم .. !

السموأل — وهل حققتِ النظر ..؟

هند — وهل تخفى عليّ رايتنا المحبوبة ؟ انظر قد انقشع الغبار... هذه طلائع كندة تحمل القلوب حنقاً وفوق الاسنة علماً.

السموأل — وهل يصلون في حينهم ؟

الحارث — ان فرقةً من الاعداء اصطفت امام عاديا... ها قد وتروا قسيهم وصوبوا نبالهم

هند — ليس من مجال للريب. هذا ابي ينهب الارض عدواً والى جانبه عمي يزيد. ألا طيري بهم يا خيولهم !

الحارث — آه فات الحين. طار سهمٌ وشكّ في ضلوع عاديا !

السموأل — (على حدة) وهذا السهم خرق حبة فؤادي

الربيع — التقت الطلائع واشتبك القتال

شيبوب — (للسموأل) أوَ يأمر مولاي ان أخرج بمن بقي من رجالنا ؟

السموأل — افعلوا وردُّوا عليّ ولدي !

شيبوب — (صوته خارج الملعب): بدارِ الى القتال ايها الابطال. !

الربيع — علا الصياح واشتدَّتِ الضوضا.

الحارث — إنما العثير يحول دون مشاهدة القتال

هند — (الى الخارج)

سيوفَ رجالنا شقي الظلاما ... وقدِّي من عداة القومِ هاما
ويا ارماحنا شكي ضلوعاً ... بطعنٍ صائبٍ يفري العظاما
ويا فرساننا شدُّوا عليهم ... بخيلٍ ضمرٍ تبني انتقاما
ويا ابطالنا كرُّوا عليهم ... وروُّوا من دمائهم الحساما
ألا انقضوا على الاعدا أُسوداً ... ونجوا عاديا الشهمَ الهماما
فانَّ عداتنا تبني رداهُ ... وقد رشقت الى الاحشا سهاما

حبيبي ماجنى الا وفاء ورائى في وديتنا الذماما

الربيع — أرى فارساً مقبلاً الينا وحسامهُ يقطر دماً

هند — هذا عمي يزيد!

المشهد الثامن

(الاشخاص ذاتهم • يزيد)

يزيد —

إنا التقينا ونارُ الحربِ ساطعةٌ وسمهريُّ العوالي بيننا قَصِدُ (١)

وقد ذبحناهمُ بالبيضِ صافيةً عنـد اللقاء وحرُّ الموتِ يتقدُ

طوراً ندير رحانا ثمَّ نطحنهم طحناً وطوراً نلاقيهم فنجتلدُ

وقد فقدنا أناساً من أماثلنا ومثلهم فكذاك القومُ قد فقدوا

حتى اذا الشمس ولتْ اجفلوا هرباً عنا وخلوا عن الاموال وانجردوا

فالخيلُ تعلم أنا من فوارسها يومَ الطعانِ وقلبُ الناسِ يرتعدُ

لما تركتُ الحصن طرت على جناح السرعة الى ابن عمي امرىء القيس. فالفيتهُ وكتائبه في الطريق بين الشام وتيماء. فعرضت عليه واقعةَ الحال وعُدنا مسرعين. فاحطنا بمعسكر الاعداء واعملنا بهم السيف. واول طعنة طعنتها كانت في قلب علقمة وهو يصوّبُ سهماً الى صدر عاديا فخرّ صريعاً بلا حراك

هند — سلمتْ يدُك يا عماه!

يزيد — وكان حظُّ ابن عمي اوفرَ من حظي. فانه تتبع الطماح وقدولى الادبار فعاجله بطعنة سنانه فالقاه على الثرى يختبطُ بدمه فوكل

---

(١) رمح قصد وقصيد: منكسر

امره الى احد رجالنا . . ثم عادَ ابوكِ يا هند يخوض صفوف الاعداء كأنه ملكُ الموت ينقضُّ عليهم .

هند — سلمتَ لي يا ابي ولا شُلتْ لكَ يمين !

يزيد — فتركتُ الحرب وقد دارت رحاها على الاعداء وبادرتُ اليكم لأُهدِئ روعكم . (يسمع هتاف نصر)

الحارث — (ناظراً الى الخارج) ان الاعداء قد ولوا الادبار والاحلاف قاصدون الى الحصن .

❋ المشهد التاسع ❋

(الاشخاص ذاتهم . وامرؤ القيس ورجاله . ثمّ الطاح و عاديا)

امرؤ القيس — (لرجاله مشيراً الى السموأل) احنوا رؤوسكم إجلالاً امام بطل المروءة والوفاء

السموأل — (آخذاً بيد هند ومشيراً الى داخل الكوليس) يا امرأ القيس هذه ابنتك ! وهذه وديعتك ! حلفتُ ألا أسلمها الى غيرك فالى غيرك لم تسلم

امرؤ القيس —

واللهِ لو صيغ الكلامُ جميعهُ · شعراً لقصرَ عن مدى ما تفعلُ
كرمٌ وإقدامٌ وفاءٌ باهرٌ · ما الغيثُ ما أسدُ الشرى ما المنهلُ
إنْ جاء ذكرٌ للوفاء وآلهِ · بوفا السموأل في الورى يُتمثلُ

السموأل —

وفيتُ بادرع الكنديّ اني · اذا ما خان اقوامٌ وفيتُ

امرؤ القيس — (للطماح وقد يكون ادخل جريحاً منذ برهة) هل لك من عبرة في ما ترى يا رجل ؟

الطماح — (في حالة النزع) هيهات ان يعرف الندم سبيلاً الى قلب الطماح... لا لم يتمّ انتقامي . ولم تنتهِ المأساة التي دبرتها لكم مكايدي... اخرجتُ من كنانة المكر سهمين : اصابَ الاولُ عاديا فأرداه . وها إنّ الثاني يمحو اسمك من عداد الاحياء

امرؤ القيس — خسئت يا هذا... لم اعبأ بك شاكي السلاح فهل اخشاك اعزل؟

اتقتلني والمشرفيُّ مضاجعي ومسنونةٌ زرقٌ كأنياب اغوالِ
ولستَ بذي سيفٍ فتقتلني به ولستَ بذي رمحٍ ولستَ بنبالِ

الطماح — على رسلك يا ابن حجر . لستُ في حاجةٍ الى سيفٍ او رمحٍ او نبل فقد نال منك دهائي ما لم ينله سلاح... دسستُ لك الدسائس عند قيصر الروم حليفك فوسوستُ له أنك اوقعتَ بابنته وفضحتَ امرها بين العرب . فالبسك هذه الحلة عربون نعمته وما هي إلا حلة مسمومة ستميتك فتكون وسيلة نقمته (١)

الجميع — يا للفظاعة . . ! (يُسرعون الى نزع الحلة عن امرىء القيس وفي أثناء ذلك يتابع الطماح)

الطماح — انزعها ! انزعها عنك فقد سري سمها في جسمك وجرى في عروقك . انزعها . فقد تسرّب من طلائها ما يكفي لقتلك الف مرة ... هكذا يكون الانتقام . اما انا لستُ أبالي بالموت بعد ادراك الثار..

الحارث — ولكنّ جزاء الغدرِ في النار

(يكون أدخل عاديا أثناء ذلك جريحاً وهو متكىء الى ذراع جنديّ فيسرع اليه السموأل وهند)

---

(١) الاغاني ج ٨ . ص ٧١ — راجع ايضاً التوطئة .

هند — حبيبي عاديا ..

السموأل — ولدي قتلتك !

عاديا — لا يا ابي ! بل انا اموت سعيداً (نظرة الى امرىء القيس) في سبيل الوفاء (نظرة الى هند) والحب ..

الستار

تمت الرواية

« تنبيه : »

المفاوضة بشأن تمثيل رواية «وفاء العرب» تكون مع المؤلف .

رواية وفاء العرب

في بيروت

مُثلت هذه الرواية لاول مرة في مدينة بيروت على مرسح « زهرة سوريا » في ٢٥ افريل (نيسان) سنة ٩٠٧ . وها نحن موردون هنا اسماء حضرات الادباء والافاضل الذين قاموا بتمثيل ادوارها احسن قيام اقراراً بفضلهم واعلاناً لشكرنا لهم على ما ابدوه من الغيرة والبراعة في الالقاء والايماء .

السموأل	المؤلف
عاديا	المرحوم حبيب قرداحي (١)
شريح	الياس باسيل
الحارث	وديع افندي خياط
امرؤ القيس	الياس افندي شاشاتي
هند	الست ناهيل
يزيد	جرجي افندي خياط
الربيع	فريد بك هراوي
الطماح	الصيدلي بولس افندي صوما
علقمة	يوسف افندي جلخ
شيبوب	فيليب افندي ماضي
المنادي	فيليب افندي نقاش

(١) مثل دور عاديا المرحوم المبكي على شبابه حبيب بطرس قرداحي صاحب صيدلية الشفاء . فصادف استحساناً كبيراً عند الجمهور . ولم يكن يدور في خلدنا عند ما كنا نصفق له وهو يقول (الفصل ٣ المشهد ١٣) « يا هندُ يوماً على الاحباب تبكينا » انه لا يمضي الا بضعة اشهر حتى يحيط الاحباب والاصدقاء بنعشه فيذرفوا الدمع حقيقة .. ارحمات الله عليه ..!

رواية وفاء العرب

في مصر

ومثلت هذه الرواية في مصر القاهرة بدار التمثيل العربي اولاً في ٢٤ يناير سنة ١٩٠٩ ، لارباب الصحف وحملة الاقلام كما جرى عليه الافرنج بعرض رواياتهم على اصحاب الفن . وثانياً في ٢٦ منه للعموم . اما حضرات الادباء الذين تطوعوا لتمثيلها غيرةً منهم على الادب ورغبةً في انهاض فن التمثيل في الشرق فهم :

السموأل	المؤلف
عاديا	الافوكاتو لويس افندي اسمر
شريح	فرنسيس صايغ
الحارث	الصيدلي قيصر افندي عرب
امرؤ القيس	الياس افندي كورك
هند	الست صالحه قاصين
يزيد	حنا افندي منير
الربيع	توفيق افندي صايغ
الطماح	الافوكاتو يوسف افندي السودا
علقمة	شحاده افندي سماحه
شيبوب	ادمون افندي عرّاطه
المنادي	القرد افندي خضير